تفسير سورة الحجر

وهى تسع وتسعون آية ، وهى مكية بالاتفاق ، كما قال القرطبى . وأخرج النحاس فى ناسخه ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة الحجر بمكة . وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١) ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٢) ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون (٣) وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٤) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٥) وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (٦) لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين (٧) ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين (٨) إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩) ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين (١٠) وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون (١١) كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢) لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين (١٣) ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (١٥) ﴾ .

قوله : ﴿ الر ﴾ قد تقدم الكلام فى محله مستوفى . والإشارة بقوله : ﴿ تلك ﴾ إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والتعريف فى ﴿ الكتاب ﴾ قيل : هو للجنس ، والمراد : جنس الكتب المتقدمة. وقيل : المراد به القرآن ،ولا يقدح فى هذا ذكر القرآن بعد الكتاب ، فقد قيل: إنه جمع له بين الاسمين . وقيل :المراد بالكتاب : هذه السورة ، وتنكير القرآن للتفخيم ، أى القرآن الكامل . ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ قرأ نافع وعاصم بتخفيف الباء من ﴿ربما ﴾ وقرأ الباقون بتشديدها ، وهما لغتان . قال أبو حاتم : أهل الحجاز يخففون ، ومنه قول الشاعر :

ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء

وتميم وربيعة يثقلونها ، وقد تزاد التاء الفوقية ، وأصلها أن تستعمل فى القليل ، وقد تستعمل فى الكثير. قال الكوفيون: أى يود الكفار فى أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين . ومنه قول الشاعر :

رب رفد هرقته ذلك اليو م وأسرى من معشر أقيال

وقيل : هى هنا للتقليل ؛ لأنهم ودوا ذلك فى بعض المواضع لا فى كلها لشغلهم بالعذاب. قيل : و « ما » هنا لحقت رب لتهيئها للدخول على الفعل . وقيل : هى نكرة بمعنى شىء . وإنما دخلت « رب » هنا على المستقبل مع كونها لا تدخل إلا على الماضى ؛ لأن المترقب فى أخباره سبحانه كالواقع المتحقق ، فكأنه قيل: ربما ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين، أى منقادين لحكمه ، مذعنين له من جملة أهله . وكانت هذه الودادة منهم عند موتهم أو يوم القيامة، والمراد : أنه لما انكشف لهم الأمر ، واتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر ، وأن الدين عند الله سبحانه هو الإسلام لا دين غيره ، حصلت منهم هذه الودادة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، بل هى لمجرد التحسر والتندم ولوم النفس على ما فرطت فى جنب الله . وقيل: كانت هذه الودادة منهم عند معاينة حالهم وحال المسلمين . وقيل : عند خروج عصاة الموحدين من النار ، والظاهر : أن هذه الودادة كائنة منهم فى كل وقت مستمرة فى كل لحظة بعد انكشاف الأمر لهم.

﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** ﴾ هذا تهديد لهم ، أى دعهم عما أنت بصدده من الأمر لهم والنهى ، فهم لا يرعوون أبدًا ولا يخرجون من باطل ، ولا يدخلون فى حق ، بل مرهم بما هم فيه من الاشتغال بالأكل والتمتع بزهرة الدنيا ، فإنهم كالأنعام التى لا تهتم إلا بذلك ، ولا تشتغل بغيره ، والمعنى : اتركهم على ماهم عليه من الاشتغال بالأكل ونحوه من متاع الدنيا ومن إلهاء الأمل لهم عن اتباعك ، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وسوء صنيعهم . وفى هذا من التهديد والزجر مالا يقدر قدره .يقال : أَلْهَاهُ كذا ، أى شغله ، ولهى هو عن الشىء يلهى ، أى شغلهم الأمل عن اتباع الحق ، وما زالوا فى الآمال الفارغة والتمنيات الباطلة حتى أسفر الصبح لذى عينين ، وانكشف الأمر ، ورأوا العذاب يوم القيامة ، فعند ذلك يذوقون وبال ما صنعوا . والأفعال الثلاثة مجزومة على أنها جواب الأمر ، وهذه الآية منسوخة بآية السيف .

﴿**وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم** ﴾ أى وما أهلكنا قرية من القرى بنُوع من أنواع العذاب ﴿ **إلا ولها** ﴾ أى لتلك القرية ﴿ **كتاب** ﴾ أى أجل مقدر لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه ﴿ **معلوم** ﴾ غير مجهول ولا منسى ، فلا يتصور التخلف عنه بوجه من الوجوه . وجملة : ﴿ **لها كتاب** ﴾ فى محل نصب على الحال من ﴿ **قرية** ﴾ وإن كانت نكرة ؛ لأنها قد صارت بما فيها من العموم فى حكم الموصوفة ، والواو للفرق بين كون هذه الجملة حالاً أو صفة ، فإنها تعينها للحالية كقولك : حالى رجل على كتفه سيف . وقيل : إن الجملة صفة لـ ﴿ **قرية** ﴾ ، والواو لتأكيد اللصوق بين الصفة والموصوف .

﴿ **ما تسبق من أمة أجلها** ﴾ أى ما تسبق أمة من الأمم أجلها المضروب لها ، المكتوب فى اللوح المحفوظ ، والمعنى : أنه لا يأتى هلاكها قبل مجىء أجلها ﴿ **وما يستأخرون** ﴾ أى وما يتأخرون عنه ، فيكون مجىء هلاكهم بعد مضى الأجل المضروب له ، وإيراد الفعل على صيغة

جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ، ولرعاية الفواصل ؛ ولذلك حذف الجار والمجرور. والجملة مبينة لما قبلها ، فكأنه قيل : إن هذا الإمهال لا ينبغي أن يغترَّ به العقلاء ، فإن لكل أمة وقتًا معينًا فى نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر ، وقد تقدم تفسير الأجل فى أول سورة الأنعام .

ثم لما فرغ من تهديد الكفار ، شرع فى بيان بعض عتوهم فى الكفر ، وتماديهم فى الغى مع تضمنه لبيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب ، فقال : ﴿ **وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر** ﴾ أى قال كفار مكة مخاطبين لرسول الله ﷺ ومتهكمين به حيث أثبتوا له إنزال الذكر عليه ، مع إنكارهم لذلك فى الواقع أشد إنكار ، ونفيهم له أبلغ نفى ، أو أرادوا بـ ﴿ **يأيها الذى نزل عليه الذكر** ﴾ فى زعمه ، وعلى وفق ما يدعيه ﴿ **إنك لمجنون** ﴾ أى إنك بسبب هذه الدعوى التى تدعيها من كونك رسولاً لله مأمورًا بتبليغ أحكامه لمجنون ، فإنه لا يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة عندهم من كان عاقلاً ، فقولهم هذا لمحمد ﷺ هو كقول فرعون : ﴿ إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ﴾ [الشعراء: ٢٧] .

﴿ **لوما تأتينا بالملائكة** ﴾، ﴿ **لوما** ﴾ حرف تحضيض مركب من « لو » المفيدة للتمنى ، ومن « ما » المزيدة ، فأفاد المجموع الحث على الفعل الداخلة هى عليه ، والمعنى : هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ﴿ **إن كنت من الصادقين** ﴾ قال الفراء : الميم فى : ﴿ **لوما** ﴾ بدل من اللام فى :« لولا » . وقال الكسائى : لولا ولوما سواء فى الخبر والاستفهام . قال النحاس : لوما ولولا وهلا واحد . وقيل : المعنى : لوما تأتينا بالملائكة فيعاقبونا على تكذيبنا لك .

﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق** ﴾ قرئ: ﴿ **ما ننزل** ﴾ بالنون مبنيًا للفاعل وهو الله سبحانه، فهو على هذا من التنزيل، والمعنى : على هذه القراءة : قال الله سبحانه مجيبًا على الكفار لما طلبوا إتيان الملائكة إليهم : ما ننزل نحن ﴿ **الملائكة إلا بالحق** ﴾ أى تنزيلاً متلبسًا بالحق الذى يحق عنده تنزيلنا لهم فيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشيئة الربانية ، وليس هذا الذى اقترحتموه مما يحق عنده تنزيل الملائكة ، وقرئ : « ننزل » مخففًا من الإنزال ، أى ما ننزل نحن الملائكة إلا بالحق ، وقرئ : « ما تنزل » بالمثناة من فوق مضارعًا مثقلا مبنيا للفاعل من التنزيل بحذف إحدى التاءين ، أى تتنزل؛ وقرئ أيضًا بالفوقية مضارعًا مبنيا للمفعول. وقيل: معنى ﴿ **إلا بالحق** ﴾ : إلا بالقرآن . وقيل : بالرسالة . وقيل : بالعذاب . ﴿ **وما كانوا إذا منظرين** ﴾ فى الكلام حذف ، والتقدير : ولو أنزلنا الملائكة لعوجلوا بالعقوبة ، وما كانوا إذاً منظرين . فالجملة المذكورة جزاء للجملة الشرطية المحذوفة .

ثم أنكر على الكفار استهزاءهم برسول الله ﷺ بقولهم : ﴿ **يأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون** ﴾ فقال سبحانه: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر** ﴾ أى نحن نزلنا ذلك الذكر الذى أنكروه ، ونسبوك بسببه إلى الجنون . ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ عن كل ما لا يليق به من تصحيف وتحريف

وزيادة ونقص ونحو ذلك. وفيه وعيد شديد للمكذبين به، المستهزئين برسول الله ﷺ . وقيل: الضمير فى : ﴿ **له** ﴾ لرسول الله ﷺ . والأول أولى بالمقام .

ثم ذكر سبحانه أن عادة أمثال هؤلاء الكفار مع أنبيائهم كذلك ؛ تسلية لرسول الله ﷺ فقال : ﴿ **ولقد أرسلنا من قبلك** ﴾ أى رسلاً ، وحذف لدلالة الإرسال عليه ، أى رسلاً كائنة من قبلك ﴿ **فى شيع الأولين** ﴾ فى أممهم ، وأتباعهم ، وسائر فرقهم وطوائفهم . قال الفراء : الشيع: الأمة التابعة بعضهم بعضًا فيما يجتمعون عليه ، وأصله من شاعه : إذا تبعه . وإضافته إلى ﴿ **الأولين** ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف عند بعض النحاة أو من حذف الموصوف عند آخرين منهم .

﴿ **وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ أى ما يأتى رسول من الرسل شيعته إلا كانوا به يستهزئون ، كما يفعله هؤلاء الكفار مع محمد ﷺ . وجملة : ﴿ **إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أو فى محل رفع على أنها صفة ﴿ **رسول** ﴾ ، أو فى محل جر على أنها صفة له على اللفظ لا على المحل .

﴿ **كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين** ﴾ أى مثل ذلك الذى سلكناه فى قلوب أولئك المستهزئين برسلهم ﴿**نسلكه**﴾ أى الذكر . ﴿ **فى قلوب المجرمين** ﴾ فالإشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحى مقرونًا بالاستهزاء . والسلك : إدخال الشىء فى الشىء ، كالخيط فى المخيط ، قاله الزجاج ، قال : والمعنى : كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤوا نسلك الضلال فى قلوب المجرمين . وجملة :﴿ **لا يؤمنون به** ﴾ فى محل نصب على الحال من ضمير ﴿**نسلكه**﴾، أى لا يؤمنون بالذكر الذى أنزلناه ، ويجوز أن تكون مستأنفة لبيان ما قبلها ، فلا محل لها . وقيل : إن الضمير فى :﴿ **نسلكه** ﴾ للاستهزاء ، وفى : ﴿ **لا يؤمنون به** ﴾ للذكر، وهو بعيد ، والأولى أن الضميرين للذكر ﴿ **وقد خلت سنة الأولين** ﴾ أى مضت طريقتهم التى سنها الله فى إهلاكهم حيث فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء . وقال الزجاج : وقد مضت سنة الله فى الأولين بأن سلك الكفر والضلال فى قلوبهم .

ثم حكى الله سبحانه إصرارهم على الكفر، وتصميمهم على التكذيب والاستهزاء ، فقال: ﴿ **ولو فتحنا عليهم** ﴾ أى على هؤلاء المعاندين لمحمد ﷺ المكذبين له المستهزئين به ﴿ **بابا من السماء** ﴾ أى من أبوابها المعهودة ، ومكناهم من الصعود إليه ﴿ **فظلوا فيه** ﴾ أى فى ذلك الباب ﴿ **يعرجون** ﴾ يصعدون بآلة أو بغير آلة، حتى يشاهدوا ما فى السماء من عجائب الملكوت التى لا يجحدها جاحد ، ولا يعاند عند مشاهدتها معاند . وقيل: الضمير فى : ﴿ **فظلوا** ﴾ للملائكة، أى فظل الملائكة يعرجون فى ذلك الباب ، والكفار يشاهدونهم ، وينظرون صعودهم من ذلك الباب ﴿ **لقالوا** ﴾ أى الكفار لفرط عنادهم وزيادة عتوهم : ﴿ **إنما سكرت أبصارنا** ﴾ . قرأ ابن كثير : « سكرت » بالتخفيف ، وقرأ الباقون بالتشديد ، وهو من سكر الشراب ، أو من

السكر ، وهو سدها عن الإحساس . يقال : سكر النهر : إذا سده وحبسه عن الجرى ؛ ورجح الثانى بقراءة التخفيف . وقال أبو عمرو بن العلاء : سكرت : غشيت وغطت ، ومنه قول الشاعر :

وطلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الجزور [1] تسكر

وبه قال أبو عبيد وأبو عبيدة . وروى عن أبى عمرو أيضًا أنه من سكر الشراب ، أى غشيهم ما غطى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله . وقيل : معنى سكرت : حبست، كما تقدم ، ومنه قول أوس بن حجر :

فصرت على ليلة ساهرة فليست بطلْقٍ ولا سَاكِرة

قال النحاس : وهذه الأقوال متقاربة ﴿ **بل نحن قوم مسحورون** ﴾ أضربوا عن قولهم : ﴿**سكرت أبصارنا** ﴾ ثم ادعوا أنهم مسحورون ، أى سحرهم محمد ﷺ وفى هذا بيان لعنادهم العظيم الذى لا يقلعهم عنه شىء من الأشياء كائنًا ما كان . فإنهم إذا رأوا آية توجب عليهم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله نسبوا إلى أبصارهم أن إدراكها غير حقيقى لعارض السكر ، أو أن عقولهم قد سحرت ، فصار إدراكهم غير صحيح . ومن بلغ فى التعنت إلى هذا الحد فلا تنفع فيه موعظة ، ولا يهتدى بآية .

وقد أخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله: ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ قال : التوراة والإنجيل. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى : ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ قال : الكتب التى كانت قبل القرآن ، و﴿ **قرآن مبين**﴾ قال : مبين ، والله هداه ورشده وخيره .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبى ﷺ فى قوله: ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ قال : ود المشركون يوم بدر حين ضربت أعناقهم فعرضوا على النار أنهم كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ . وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود فى الآية ، قال : هذا فى الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار . وأخرج سعيد بن منصور، وهناد بن السرى فى الزهد وابن جرير وابن المنذر، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس، قال : ما يزال الله يشفع ويدخل ويشفع ويرحم حتى يقول : من كان مسلمًا ، فليدخل الجنة، فذلك قوله : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ [2] . وأخرج ابن المبارك فى الزهد ، وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر ، والبيهقى فى البعث عن ابن عباس وأنس ؛ أنهما تذاكرا هذه الآية : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ فقالا : هذا حيث يجمع الله من أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار ، فيقول المشركون : ما أغنى عنكم

---

(١) فى المخطوطة : « الخرور » ولعلها على عادة المصنف فى عدم الاهتمام بالإعجام .

(٢) ابن جرير ١٤ / ٤ وصححه الحاكم ٢ / ٣٥٣ ووافقه الذهبى .

ما كنتم تعبدون ، فيغضب الله لهم ، فيخرجهم بفضله ورحمته [١] . وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه بسند ، قال السيوطى : صحيح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ناسًا من أمتى يعذبون بذنوبهم ، فيكونون فى النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولون : ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم ، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ [٢] . وأخرج ابن أبى عاصم فى السنة ، وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى عن أبى موسى الأشعرى مرفوعًا نحوه[٣]. وأخرج إسحاق بن راهويه وابن حبان والطبرانى وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعًا نحوه [٤]. وأخرج هناد بن السرى ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم عن أنس مرفوعًا نحوه أيضًا [٥] . وفى الباب أحاديث فى تعيين هذا السبب فى نزول هذه الآية .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد فى قوله : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** ﴾ الآية ، قال : هؤلاء الكفرة . وأخرج أيضًا عن أبى مالك فى قوله : ﴿ **ذرهم** ﴾ قال : خل عنهم . وأخرج ابن جرير عن الزهرى فى قوله : ﴿ **ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون** ﴾ قال : نرى أنه إذا حضره أجله ، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم ، وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء . قلت : وكلام الزهرى هذا لا حاصل له ولا مفاد فيه .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك فى قوله: ﴿ **يأيها الذى نزل عليه الذكر** ﴾ قال : القرآن . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله : ﴿ **ما ننزل الملائكة إلا بالحق** ﴾ قال : بالرسالة والعذاب. وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله: ﴿ **وما كانوا إذا منظرين** ﴾ قال : وما كانوا لو نزلت الملائكة بمنظرين من أن يعذبوا . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد : ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ قال : عندنا .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **فى شيع الأولين** ﴾ قال : أمم الأولين . وأخرج ابن أبى حاتم عن أنس فى قوله : ﴿ **كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين** ﴾ قال : الشرك نسلكه فى قلوب المشركين . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة مثله . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن مثله

(١) ابن جرير ١٤ / ٣ ، ٤ .

(٢) أورده الهيثمى فى المجمع ١٠ / ٣٨٢ وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفى وهو ثقة » .

(٣) ابن جرير ١٤ / ٣ وصححه الحاكم ٢ / ٢٤٢ ووافقه الذهبى ، وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٤٨ : «رواه الطبرانى وفيه خالد بن نافع الأشعرى ، قال أبو داود : متروك ، وقال الذهبى : هذا تجاوز فى الحد فلا يستحق الترك فقد حدث عنه أحمد بن حنبل وغيره ، وبقية رجاله ثقات» .

(٤) صححه ابن حبان (٧٣٨٩) .

(٥) قال الهيثمى فى المجمع ١٠ / ٣٨٢ ، ٣٨٣ : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفهم » .

أيضًا . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة : ﴿ **وقد خلت سنة الأولين** ﴾ قال : وقائع الله فيمن خلا من الأمم .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج فى قوله : ﴿ **فظلوا فيه يعرجون** ﴾ قال ابن جريج : قال ابن عباس : فظلت الملائكة تعرج فنظروا إليهم ؛ لقالوا : ﴿ **إنما سكرت أبصارنا** ﴾ قال : قريش تقوله . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى الآية عن ابن عباس أيضًا يقول : ولو فتحنا عليهم بابًا من أبواب السماء ، فظلت الملائكة تعرج فيه يختلفون فيه ذاهبين وجائين ؛ لقال أهل الشرك : إنما أخذ أبصارنا ، وشبه علينا ، وإنما سحرنا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾ قال : سدت . وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه . قال : ومن قرأ : « سكرت » مخففة فإنه يعنى : سحرت .

﴿ **وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)** ﴾ .

لما ذكر سبحانه كفر الكافرين وعجزهم وعجز أصنامهم ، ذكر قدرته الباهرة وخلقه البديع ، ليستدل بذلك على وحدانيته ، فقال : ﴿ **ولقد جعلنا فى السماء بروجا** ﴾ الجعل إن كان بمعنى الخلق ، ففى السماء متعلق به ، وإن كان بمعنى التصيير ، ففى السماء خبره . والبروج فى اللغة : القصور والمنازل ، والمراد بها هنا : منازل الشمس والقمر والنجوم السيارة ، وهى : الاثنا عشر المشهورة كما تدل على ذلك التجربة ، والعرب تعد المعرفة بمواقع النجوم ومنازلها من أجل العلوم . ويستدلون بها على الطرقات والأوقات والخصب والجدب . وقالوا : الفلك اثنا عشر برجًا ، وأسماء هذه البروج : الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ، الميزان ، العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت . كل ثلاثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الأربعة المشتغلين بهذا العلم ، ويسمون الحمل والأسد والقوس : مثلثة نارية ، والثور والسنبلة والجدى : مثلثة أرضية ، والجوزاء والميزان والدلو : مثلثة هوائية ، والسرطان والعقرب والحوت : مثلثة مائية . وأصل البروج : الظهور . ومنه : تبرج المرأة : بإظهار زينتها . وقال

الحسن وقتادة : البروج : النجوم . وسميت بذلك ؛ لظهورها وارتفاعها. وقيل : السبعة السيارة منها ، قاله أبو صالح . وقيل : هى قصور وبيوت فى السماء فيها حرس . والضمير فى : ﴿**وزيناها**﴾ راجع إلى السماء ، أى وزينا السماء بالشمس والقمر والنجوم والبروج للناظرين إليها، أو للمتفكرين المعتبرين ، المستدلين إذا كان من النظر وهو الاستدلال .

﴿ **وحفظناها** ﴾ أى السماء ﴿ **من كل شيطان رجيم** ﴾ قال أبو عبيدة : الرجيم : المرجوم بالنجوم ،كما فى قوله : ﴿ رجوما للشياطين ﴾ [الملك : ٥] . والرجم فى اللغة : هو الرمى بالحجارة ؛ ثم قيل للعن والطرد والإبعاد : رجم ؛ لأن الرامى بالحجارة يوجب هذه المعانى . ﴿**إلا من استرق السمع** ﴾ استثناء متصل ، أى إلا ممن استرق السمع ؛ ويجوز أن يكون منقطعًا، أى ولكن من استرق السمع ﴿ **فأتبعه شهاب مبين** ﴾ والمعنى : حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئًا من الوحى وغيره إلا من استرق السمع ، فإنها تتبعه الشهب فتقتله أو تخبله . ومعنى ﴿ **فأتبعه** ﴾ : تبعه ولحقه أو أدركه . والشهاب : الكوكب أو النار المشتعلة الساطعة كما فى قوله: ﴿ بشهاب قبس ﴾ [النمل : ٧] . قال ذو الرمة :

كأنه كوكب فى إثر عفريت

وسمى الكوكب شهابًا ؛ لبريقه شبه النار ، والمبين : الظاهر للمبصرين يرونه لا يلتبس عليهم .

قال القرطبى : واختلف فى الشهاب ، هل يقتل أم لا ؟ فقال ابن عباس : الشهاب يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل . وقال الحسن وطائفة : يقتل ، فعلى هذا القول فى قولهم الشهب قبل إلقاء السمع إلى الجن قولان : أحدهما : أنهم يقتلون قبل إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم ، فلا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء ولذلك انقطعت الكهانة . والثانى: أنهم يقتلون بعد إلقائهم ما استرقوه من السمع إلى غيرهم من الجن . قال : ذكره الماوردى ، ثم قال: والقول الأول أصح [1] .

قال : واختلف هل كان رمى بالشهب قبل المبعث ؟ فقال الأكثرون : نعم . وقيل : لا ، وإنما ذلك بعد المبعث ، قال الزجاج : والرمى بالشهب من آيات النبى ﷺ مما حدث بعد مولده؛ لأن الشعراء فى القديم لم يذكروه فى أشعارهم . قال كثير من أهل العلم : نحن نرى انقضاض الكواكب ، فيجوز أن يكون ذلك كما نرى . ثم يصير نارًا إذا أدرك الشيطان . ويجوز أن يقال : يرمون بشعلة من نار الهواء ، فيخيل إلينا أنه نجم يسرى .

﴿ **والأرض مددناها** ﴾ أى بسطناها وفرشناها ، كما فى قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات : ٣٠]، وفى قوله : ﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون ﴾ [الذاريات : ٤٨]

---

(١) القرطبى ٥ / ٣٦٢٧ ، ٣٦٢٨

وفيه رد على من زعم أنها كالكرة . ﴿ **وألقينا فيها رواسى** ﴾ أى جبالاً ثابتة ، لئلا تحرك بأهلها. وقد تقدم بيان ذلك فى سورة الرعد . ﴿ **وأنبتنا فيها من كل شىء موزون** ﴾ أى أنبتنا فى الأرض من كل شىء مقدر معلوم ، فعبر عن ذلك بالوزن ؛ لأنه مقدار تعرف به الأشياء ، ومنه قول الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرَّة عندى لِكُل مخاصم مِيزَانه

وقيل : معنى ﴿ **موزون** ﴾ : مقسوم . وقيل : معدود . والمقصود من الإثبات الإنشاء والإيجاد ؛ وقيل : الضمير راجع إلى الجبال ، أى أنبتنا فى الجبال من كل شىء موزون من الذهب والفضة والنحاس والرصاص ونحو ذلك . وقيل : موزون بميزان الحكمة ، ومقدر بقدر الحاجة . وقيل : الموزون : هو المحكوم بحسنه ،كما يقال : كلام موزون ، أى حسن .

﴿ **وجعلنا لكم فيها معايش** ﴾ تعيشون بها من المطاعم والمشارب ، جمع معيشة . وقيل : هى الملابس . وقيل : هى التصرف فى أسباب الرزق مدة الحياة . قال الماوردى : وهو الظاهر. قلت : بل القول الأول أظهر . ومنه قول جرير :

تكلفنى معيشة آل زيد ومن لى بالمرقق والصناب

﴿ **ومن لستم له برازقين** ﴾ معطوف على معايش، أى وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين، وهم المماليك والخدم والأولاد الذين رازقهم فى الحقيقة هو الله ، وإن ظن بعض العباد أنه الرازق لهم باعتبار استقلاله بالكسب ، ويجوز أن يكون معطوفًا على محل ﴿ **لكم** ﴾ أى جعلنا لكم فيها معايش ، وجعلنا لمن لستم له برازقين فيها معايش ، وهم من تقدم ذكره . ويدخل فى ذلك الدواب على اختلاف أجناسها . ولا يجوز العطف على الضمير المجرور فى : ﴿ **لكم** ﴾ لأنه لا يجوز عند الأكثر إلا بإعادة الجار . وقيل : أراد الوحش .

﴿ **وإن من شىء إلا عندنا خزائنه** ﴾ : « إن » هى النافية ، و« من » مزيدة للتأكيد . وهذا التركيب عام لوقوع النكرة فى حيز النفى مع زيادة « من » ومع لفظ ﴿ **شىء** ﴾ المتناول لكل الموجودات الصادقة على كل فرد منها . فأفاد ذلك أن جميع الأشياء عند الله خزائنها لا يخرج منها شىء . والخزائن جمع خزانة ، وهى المكان الذى يحفظ فيه نفائس الأمور . وذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور. والمعنى : أن كل الممكنات مقدورة ومملوكة يخرجها من العدم إلى الوجود بمقدار كيف شاء . وقال جمهور المفسرين : إن المراد بما فى هذه الآية هو المطر ؛ لأنه سبب الأرزاق والمعايش . وقيل : الخزائن : المفاتيح ، أى ما من شىء إلا عندنا فى السماء مفاتيحه . والأولى ما ذكرناه من العموم لكل موجود ، بل قد يصدق الشىء على المعدوم على الخلاف المعروف فى ذلك . ﴿**وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾ أى ما ننزله من السماء إلى الأرض أو نوجده للعباد إلا بقدر معلوم . والقدر: المقدار ؛ والمعنى: أن الله سبحانه لا يوجد للعباد شيئًا من تلك الأشياء المذكورة إلا متلبسًا ذلك الإيجاد بمقدار معين حسبما تقتضيه مشيئته على مقدار

حاجة العباد إليه ، كما قال سبحانه : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ﴾ [الشورى : ٢٧] . وقد فسر الإنزال بالإعطاء ، وفسر بالإنشاء ، وفسر بالإيجاد . والمعنى متقارب . وجملة : ﴿ **وما ننزله** ﴾ معطوفة على مقدر ، أى وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ننزله وما ننزله ، أو فى محل نصب على الحال .

﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ معطوف على ﴿ **وجعلنا لكم فيها معايش** ﴾ وما بينهما اعتراض. قرأ حمزة: « الريح » بالتوحيد ، وقرأ من عداه : ﴿ **الرياح** ﴾ بالجمع . وعلى قراءة حمزة فتكون اللام فى الريح للجنس . قال الأزهرى : وجعل الرياح لواقح ؛ لأنها تحمل السحاب ، أى تقله وتصرفه ، ثم تمر به فتنزله . قال الله سبحانه : ﴿ حتى إذا أقلت سحابا ثقالا ﴾ [الأعراف : ٥٧] أى حملت . وناقة لاقح : إذا حملت الجنين فى بطنها . وبه قال الفراء وابن قتيبة . وقيل : ﴿ **لواقح** ﴾ بمعنى : ملقحة . قال ابن الأنبارى : تقول العرب : أبقل النبت فهو باقل، أى مبقل. والمعنى : أنها تلقح الشجر ، أى بقوتها . وقيل : معنى ﴿**لواقح**﴾: ذوات لقح . قال الزجاج: معناه : وذات لقحة؛ لأنها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة . يقال : رامح ، أى ذو رمح . ولابن ، أى ذو لبن . وتامر ، أى ذو تمر . قال أبو عبيدة : ﴿**لواقح** ﴾ بمعنى : ملاقح، ذهب إلى أنها جمع ملقحة ، وفى هذه الآية تشبيه الرياح التى تحمل الماء بالحامل ، ولقاح الشجر بلقاح الحمل .

﴿ **فأنزلنا من السماء ماء** ﴾ أى من السحاب ، وكل ما علاك فأظلك فهو سماء . وقيل : من جهة السماء . والمراد بالماء هنا : ماء المطر . ﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ أى جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم . قال أبو على : يقال : سقيته الماء : إذا أعطيته قدر ما يرويه . وأسقيته نهرًا ، أى جعلته شربًا له . وعلى هذا ﴿ **فأسقيناكموه** ﴾ أبلغ من سقيناكموه . وقيل: سقى وأسقى بمعنى واحد. ﴿ **وما أنتم له بخازنين** ﴾ أى ليست خزائنه عندكم ، بل خزائنه عندنا، ونحن الخازنون له ، فنفى عنهم سبحانه ما أثبته لنفسه فى قوله : ﴿ **وإن من شىء إلا عندنا خزائنه** ﴾ وقيل المعنى : إن ما أنتم له بخازنين بعد أن أنزلناه عليكم، أى لا تقدرون على حفظه فى الآبار والغدران والعيون ، بل نحن الحافظون له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة إليه .

﴿ **وإنا لنحن نحيى ونميت** ﴾ أى نوجد الحياة فى المخلوقات ونسلبها عنها متى شئنا . والغرض من ذلك : الاستدلال بهذه الأمور على كمال قدرته ــ عز وجل ــ وأنه القادر على البعث والنشور والجزاء لعباده على حسب ما يستحقونه وتقتضيه مشيئته . ولهذا قال : ﴿ **ونحن الوارثون** ﴾ أى للأرض ومن عليها ؛لأنه سبحانه الباقى بعد فناء خلقه ، الحى الذى لا يموت ، الدائم الذى لا ينقطع وجوده . ﴿ ولله ميراث السموات والأرض ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم** ﴾ هذه اللام هى الموطئة للقسم ، وهكذا اللام فى : ﴿**ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ والمراد : من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر فيهما. وقيل: من تقدم طاعة ومن

تأخر فيها . وقيل: من تقدم في صف القتال ومن تأخر. وقيل : المراد بالمستقدمين: الأموات ، وبالمستأخرين: الأحياء. وقيل: المستقدمون: هم الأمم المتقدمون على أمة محمد، والمستأخرون : هم أمة محمد . وقيل : المستقدمون : من قتل فى الجهاد ، والمستأخرون : من لم يقتل .

﴿ **وإن ربك هو يحشرهم** ﴾ أى هو المتولى لذلك ، القادر عليه دون غيره ، كما يفيده ضمير الفصل من الحصر ، وفيه أنه سبحانه يجازى المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته ؛ لأنه الأمر المقصود من الحشر ﴿ **إنه حكيم** ﴾: يجرى الأمور على ما تقتضيه حكمته البالغة ﴿ **عليم**﴾: أحاط علمه بجميع الأشياء ، لا يخفى عليه شيء منها، ومن كان كذلك فله القدرة البالغة على كل شيء مما وسعه علمه ، وجرى فيه حكمه ، سبحانه لا إله إلا هو .

وقد أخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله : ﴿ **ولقد جعلنا فى السماء بروجا** ﴾ قال : كواكب . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة مثله . وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى صالح قال : الكواكب العظام . وأخرج أيضًا عن عطية قال : قصوراً فى السماء فيها الحرس . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة قال: الرجيم : الملعون . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إلا من استرق السمع** ﴾ أراد أن يخطف السمع ، كقوله : ﴿ إلا من خطف الخطفة ﴾[الصافات : ١٠] . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقول : إن الشهب لا تقتل ، ولكن تحرق وتخبل وتجرح من غير أن تقتل .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ **وأنبتنا فيها من كل شيء موزون** ﴾ قال : معلوم . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **من كل شيء موزون** ﴾ قال : بقدر . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد ، قال : الأشياء التى توزن . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة ، قال : ما أنبتت الجبال مثل الكحل وشبهه. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله:﴿ **ومن لستم له برازقين** ﴾ قال : الدواب والأنعام . وأخرج هؤلاء عن منصور ، قال : الوحش .

وأخرج البزار وابن مردويه ، وأبو الشيخ فى العظمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خزائن الله الكلام ، فإذا أراد شيئًا، قال له .كن فكان » (١). وأخرج ابن جرير عن ابن جريج فى قوله:﴿ **إلا عندنا خزائنه** ﴾ قال : المطر خاصة. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد نحوه . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ما نقص المطر منذ أنزله الله . ولكن تمطر أرض أكثر مما تمطر أخرى . ثم قرأ : ﴿ **وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ . وأخرج ابن

(١) أورده صاحب كنز العمال (٢٩٨٢٨) وعزاه لأبى الشيخ فى العظمة ، وأورده ابن كثير ٤ / ١٥٧ عن البزار وقال : « لا يرويه إلا (أغلب) وليس بالقوى ، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ، ولم يروه عنه إلا ابنه » وفى ميزان الاعتدال ١ / ٢٧٣ (١٠٢١) : « قال البخارى : منكر الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء » .

جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود قال : ما من عام بأمطر من عام ، ولكن الله يصرفه حيث يشاء . ثم قرأ : ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ . وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعًا .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن مسعود فى قوله: ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ قال: يرسل الله الريح فتحمل الماء فتلقح به السحاب فتدر كما تدر اللقحة ، ثم تمطر [١] . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس نحوه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن عبيد بن عمير قال : يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قما، ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب ، فتجعله كسفًا ، ثم يبعث المؤلفة فتؤلف بينه فيجعله ركامًا، ثم يبعث اللواقح فتلقحه فتمطر[٢]. وأخرج ابن أبى الدنيا وابن جرير ، وأبو الشيخ فى العظمة، وابن مردويه والديلمى بسند ضعيف عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ريح الجنوب من الجنة ، وهى الريح اللواقح التى ذكر الله فى كتابه » [٣] .

وأخرج الطيالسى وسعيد بن منصور وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن خزيمة وابن حبان والطبرانى ، والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : كانت امرأة تصلى خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن النساء ، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون فى الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون فى الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله: ﴿**ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**﴾[٤]. وهذا الحديث هو من رواية أبى الجوزاء عن ابن عباس ، وقد رواه عبد الرزاق وابن المنذر من قول أبى الجوزاء . قال الترمذى : وهذا أشبه أن يكون أصح . وقال ابن كثير : فى هذا الحديث نكارة شديدة [٥]. وأخرج الحاكم وابن مردويه عن ابن عباس فى الآية، قال : المستقدمين :

---

(١) ابن جرير ١٤ / ١٥ والطبرانى (٩٠٨٠) وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٤٨ : « وفيه يحيى الحمانى ، وهو ضعيف » .

(٢) ابن جرير ١٤ / ١٥ .

(٣) ابن جرير ١٤ / ١٥ والديلمى فى الفردوس (٣٢٦٢) وفيض القدير (٤٤٨٧) وعزاه لابن أبى الدنيا فى كتاب السحاب وابن جرير وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه عن أبى هريرة وضعفه ، وابن كثير ٤ / ١٥٨ وقال : « هذا إسناد ضعيف » .

(٤) الطيالسى (٢٧١٢) وأحمد ١ / ٣٠٥ والترمذى فى التفسير (٣١٢٢) وقال : « وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح » والنسائى ٢ / ١١٨ وفى التفسير (٢٩٣) وحسنه وابن ماجه فى إقامة الصلاة (١٠٤٦) وابن جرير ١٤ / ١٨ وابن حبان (١٧٤٩ موارد) والطبرانى (١٢٧٩١) وصححه الحاكم ٢ / ٣٥٣ وقال: «قال عمرو بن على : لم يتكلم أحد فى نوح بن قيس الطاحى بحجة وله أصل من حديث سفيان الثورى » ووافقه الذهبى وقال : « هو صدوق وخرج له مسلم » .

(٥) أعله ابن كثير ٤ / ١٥٩ فقال: « وثقه أحمد ، وأبو داود وغيرهما ، وحكى ابن معين تضعيفه ، وأخرجه مسلم وأهل السنن وقال : « غريب جدًا. . . » وهذا الحديث فيه نكارة شديدة ، وقد رواه عبد الرزاق عن =

الصفوف المقدمة ، والمستأخرين : الصفوف المؤخرة . وقد وردت أحاديث كثيرة فى أن خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها . وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء ومقاتل بن حيان ؛ أن الآية فى صفوف القتال . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال : المستقدمين : فى طاعة الله ، والمستأخرين : فى معصية الله . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : يعنى بالمستقدمين : من مات ، وبالمستأخرين : من هو حى لم يمت . وأخرج هؤلاء عنه أيضًا، قال : المستقدمين : آدم ومن مضى من ذريته ، والمستأخرين : فى أصلاب الرجال . وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة نحوه .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾ .

المراد بالإنسان فى قوله: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان**﴾ هو: آدم لأنه أصل هذا النوع. والصلصال، قال أبوعبيدة: هو: الطين المخلوط بالرمل الذى يتصلصل إذا حرك ، فإذا طبخ فى النار فهو الفخار . وهذا قول أكثر المفسرين . وقال الكسائى : هو الطين المنتن، مأخوذ من قول العرب : صلّ اللحم وأصل : إذا أنتن مطبوخًا كان أو نيئًا . قال الحطيئة :

ذاك فتى يبذل ذا قدْره [1]   لا يفسد اللحم لديه الصلول

= جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك النكرى أنه سمع أبا الجوزاء يقول: . . . فالظاهر : أنه من كلام أبى الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر » .

(١) فى المطبوعة : « دا قدرة » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

والحمأ : الطين الأسود المتغير ، أو الطين الأسود من غير تقييد بالمتغير. قال ابن السكيت: تقول منه : حمأت البئر حمأ بالتسكين : إذا نزعت حمأتها ، وحمئت البئر حمأ بالتحريك : كثرت حمأتها . وأحميتها إحماء : ألقيت فيها الحمأة . قال أبو عبيدة : الحمأة بسكون الميم مثل الحمأة ، يعنى : بالتحريك . والجمع : حمء ، مثل : تمرة وتمر . والحمأ المصدر مثل : الهلع والجزع ، ثم سمى به . والمسنون ، قال الفراء : هو المتغير ، وأصله من سننت الحجر على الحجر : إذا حككته. وما يخرج بين الحجرين يقال له : السنانة والسنين ، ومنه قول عبد الرحمن ابن حسان :

ثم حاصرتها إلى القبة الحمراء تمشى فى مرمر مسنون (١)

أى محكوك . ويقال : أسن الماء : إذا تغير . ومنه قوله : ﴿ لم يتسنه ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، وقوله : ﴿ ماء غير آسن ﴾ [محمد : ١٥] . وكلا الاشتقاقين يدل على التغير ؛ لأن ما يخرج بين الحجرين لا يكون إلا منتنا . وقال أبو عبيدة : المسنون : المصبوب ، وهو من قول العرب : سننت الماء على الوجه: إذا صببته. والسن: الصب. وقال سيبويه: المسنون: المصور ، مأخوذ من سنة الوجه ، وهى صورته ، ومنه قول ذى الرمة :

تريك سُنَّة وجه غَير مُقْرِفَة مَلْسَاءُ لَيْس بِها خَالٌ وَلا نَدَبُ

وقال الأخفش : المسنون : المنصوب القائم ، من قولهم: وجه مسنون : إذا كان فيه طول. والحاصل على هذه الأقوال أن التراب لما بل ، صار طينا ، فلما أنتن ، صار حمأ مسنونًا، فلما يبس صار صلصالاً . فأصل الصلصال هو الحمأ المسنون. ولهذا وصف بهما .

﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ الجان : أبو الجن عند جمهور المفسرين . وقال عطاء والحسن وقتادة ومقاتل : هو إبليس . وسمى جانا ؛ لتواريه عن الأعين . يقال : جن الشيء : إذا ستره . فالجان : يستر نفسه عن أعين بنى آدم . ومعنى ﴿ **من قبل** ﴾ : من قبل خلق آدم . والسموم : الريح الحادة النافذة فى المسام ، تكون بالنهار، وقد تكون بالليل. كذا قال أبو عبيدة . وذكر خلق الإنسان والجان فى هذا الموضع للدلالة على كمال القدرة الإلهية ، وبيان أن القادر على النشأة الأولى قادر على النشأة الأخرى .

﴿ **وإذ قال ربك للملائكة** ﴾ الظرف منصوب بفعل مقدر ، أى اذكر . بين سبحانه بعد ذكره لخلق الإنسان ما وقع عند خلقه له . وقد تقدم تفسير ذلك فى البقرة . والبشر : مأخوذ من البشرة ، وهى ظاهر الجلد . وقد تقدم تفسير الصلصال والحمأ المسنون قريبًا مستوفى. ﴿ **فإذا سويته** ﴾ أى سويت خلقه ، وعدلت صورته الإنسانية وكملت أجزاءه ﴿**ونفخت فيه من روحى**﴾ النفخ : إجراء الريح فى تجاويف جسم آخر. فمن قال : إن الروح جسم لطيف كالهواء فمعناه

(١) فى المطبوعة : « سنون » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

ظاهر، ومن قال: إنه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال فى متحيز، فمعنى النفخ عنده : تهيئة البدن لتعلق النفس الناطقة به . قال النيسابورى : ولا خلاف فى أن الإضافة فى روحى للتشريف والتكريم ، مثل : «ناقة الله » و« بيت الله » قال القرطبى : والروح :جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة فى البدن مع ذلك الجسم . وحقيقته إضافة خلق إلى خالق . فالروح: خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا . قال : ومثله: ﴿ وروح منه ﴾ [النساء : ١٧١] وقد تقدم فى النساء [١] . ﴿ **فقعوا له ساجدين** ﴾ الفاء تدل على أن سجودهم واجب عليهم عقب التسوية والنفخ من غير تراخ ، وهو أمر بالوقوع ، من وقع يقع . وفيه دليل على أن المأمور بـه هو السجود ، لا مجرد الانحناء كما قيل . وهذا السجود :هو سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة ، ولله أن يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء . وقيل : كان السجود لله تعالى ، وكان آدم قبلة لهم .

﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون** ﴾ أخبر سبحانه بأن الملائكة سجدوا جميعًا عند أمر الله سبحانه لهم بذلك من غير تراخ . قال المبرد: قوله :﴿ **كلهم** ﴾ أزال احتمال أن بعض الملائكة لم يسجد . وقوله :﴿ **أجمعون** ﴾ توكيد بعد توكيد . ورجح هذا الزجاج . قال النيسابورى : وذلك لأن أجمع معرفة فلا يقع حالاً ، ولو صح أن يكون حالاً لكان منتصبًا ، ثم استثنى إبليس من الملائكة فقال :﴿ **إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين** ﴾. قيل : هذا الاستثناء متصل لكونه كان من جنس الملائكة ، ولكنه أبى ذلك استكبارًا واستعظامًا لنفسه وحسدًا لآدم ، فحقت عليه كلمة الله . وقيل : إنه لم يكن من الملائكة ، ولكنه كان معهم ، فغلب اسم الملائكة عليه وأمر بما أمروا به ، فكان الاستثناء بهذا الاعتبار متصلاً ، وقيل : إن الاستثناء منفصل بناء على عدم كونه منهم ، وعدم تغليبهم عليه ، أى ولكن إبليس أبى أن يكون مع الساجدين . وقد تقدم الكلام فى هذا فى سورة البقرة. وجملة: ﴿ **أبى أن يكون مع الساجدين** ﴾ استئناف مبين لكيفية ما فيهم من الاستثناء من عدم السجود ؛ لأن عدم السجود قد يكون مع التردد ، فبين سبحانه أنه كان على وجه الإباء .

وجملة: ﴿ **قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين** ﴾ مستأنفة أيضًا جواب سؤال مقدر، كأنه قيل : فماذا قال الله سبحانه لإبليس بعد أن أبى السجود؟ وهذا الخطاب له ليس للتشريف والتكريم ، بل للتقريع والتوبيخ ، والمعنى : أى غرض لك فى الامتناع ، وأى سبب حملك عليه، على ألا تكون مع الساجدين لآدم مع الملائكة ، وهم فى الشرف وعلو المنزلة والقرب من الله بالمنزلة التى قد علمتها ؟

وجملة :﴿ **قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون** ﴾ مستأنفة كالتى قبلها ، جعل العلة لترك سجوده كون آدم بشرًا مخلوقًا من صلصال من حمأ مسنون ، زعمًا منه

---

(١) القرطبى ٥ / ٤٦٤٠ .

أنه مخلوق من عنصر أشرف من عنصر آدم . وفيه إشارة إجمالية فى كونه خيرًا منه . وقد صرح بذلك فى موضع آخر ، فقال : ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢]. وقال فى موضع آخر: ﴿أأسجد لمن خلقت طينا﴾ [الإسراء: ٦١] واللام فى ﴿**لأسجد**﴾: لتأكيد النفى ، أى لا يصح ذلك منى ، فأجاب الله سبحانه عليه بقوله : ﴿ **قال فاخرج منها فإنك رجيم** ﴾ والضمير فى : ﴿ **منها** ﴾ ، قيل : عائد إلى الجنة ، وقيل: إلى السماء، وقيل : إلى زمرة الملائكة ، أى فاخرج من زمرة الملائكة ﴿ **فإنك رجيم** ﴾ أى مرجوم بالشهب . وقيل: معنى رجيم : ملعون ، أى مطرود ؛ لأن من يطرد يرجم بالحجارة .

﴿ **وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين** ﴾ أى عليك الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه مستمرًا عليك ، لازمًا لك إلى يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة . وجعل يوم الدين غاية للعنة لا يستلزم انقطاعها فى ذلك الوقت ؛ لأن المراد دوامها من غير انقطاع ، وذكر يوم الدين ؛ للمبالغة كما فى قوله تعالى: ﴿ما دامت السموات والأرض ﴾ [هود : ١٠٧] . أو أن المراد أنه فى يوم الدين وما بعده يعذب بما هو أشد من اللعن من أنواع العذاب ، فكأنه لا يجد له ما كان يجده قبل أن يمسه العذاب.

﴿ **قال رب فأنظرنى** ﴾ أى أخرنى وأمهلنى ولا تمتنى إلى يوم يبعثون ، أى آدم وذريته . طلب أن يبقى حيًا إلى هذا اليوم لما سمع ذلك ، علم أن الله قد أخر عذابه إلى الدار الآخرة ، وكأنه طلب ألا يموت أبدًا ؛ لأنه إذا أخر موته إلى ذلك اليوم ، فهو يوم لا موت فيه . قيل: إنه لم يطلب ألا يموت ،بل طلب أن يؤخر عذابه إلى يوم القيامة ، ولا يعذب فى الدنيا ﴿**قال فإنك من المنظرين** ﴾ لما سأل الإنظار ، أجابه الله سبحانه إلى ما طلبه ، وأخبره بأنه من جملة من أنظره ممن أخر آجالهم من مخلوقاته ، أو من جملة من أخر عقوبتهم بما اقترفوا .ثم بين سبحانه الغاية التى أمهله إليها، فقال :﴿ **إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾ وهو يوم القيامة، فإن ﴿**يوم الدين** ﴾ و﴿ **يوم يبعثون** ﴾ و﴿ **يوم الوقت المعلوم** ﴾ كلها عبارات عن يوم القيامة . وقيل : المراد بالوقت المعلوم : هو الوقت القريب من البعث ، فعند ذلك يموت .

﴿ **قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض** ﴾ الباء للقسم، و« ما » مصدرية، وجواب القسم : ﴿ **لأزينن لهم** ﴾ أى أقسم بإغوائك إياى لأزينن لهم فى الأرض ، أى ما داموا فى الدنيا. والتزيين منه إما بتحسين المعاصى لهم وإيقاعهم فيها، أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها . وإقسامه ها هنا بإغواء الله له لا ينافى إقسامه فى موضع آخر بعزة الله التى هى سلطانه وقهره ؛ لأن الإغواء [1] له هو من جملة ما تصدق عليه العزة ﴿**ولأغوينهم أجمعين** ﴾ أى لأضلنهم عن طريق الهدى ، وأوقعهم فى طريق الغواية، وأحملهم عليه . ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة بفتح اللام ، أى الذين

(١) فى المطبوعة : « الإعزاء » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

استخلصتهم من العباد . وقرأ الباقون بكسر اللام ، أى الذين أخلصوا لك العبادة ، فلم يقصدوا بها غيرك .

﴿ **قال هذا صراط على مستقيم** ﴾ أى حق علىَّ أن أراعيه، وهو ألا يكون لك على عبادى سلطان . قال الكسائى: هذا على الوعيد والتهديد ، كقولك لمن تهدده : طريقك علىَّ ، ومصيرك إلىَّ . وكقوله: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ [الفجر : ١٤] . فكأن معنى هذا الكلام : هذا طريق مرجعه، فأجازى كلاً بعمله. وقيل :﴿ **على** ﴾ هنا بمعنى إلى . وقيل : المعنى : على أن الصراط المستقيم بالبيان والحجة . وقيل : بالتوفيق والهداية . وقرأ ابن سيرين وقتادة والحسن وقيس بن عباد وأبو رجاء وحميد ويعقوب : « هذا صراط على » على أنه صفة مشبهة ومعناه : رفيع .

﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾ المراد بالعباد هنا : هم المخلصون ؛ والمراد أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم فى ذنب يهلكون به ، ولا يتوبون منه . فلا ينافى هذا ما وقع من آدم وحواء ونحوهما ، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة عنه . ﴿ **إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ استثنى سبحانه من عباده هؤلاء وهم المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحق، الواقعين فى الضلال، وهو موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله :﴿ **لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ ويمكن أن يقال : إن بين الكلامين فرقًا فكلام الله سبحانه فيه نفى سلطان إبليس على جميع عباده إلا من اتبعه من الغاوين ، فيدخل فى ذلك المخلصون وغيرهم ممن لم يتبع إبليس من الغاوين ؛ وكلام إبليس اللعين يتضمن إغواء الجميع إلا المخلصين ، فدخل فيهم من لم يكن مخلصًا ولا تابعًا لإبليس غاويًا . والحاصل أن بين المخلصين والغاوين التابعين لإبليس طائفة لم تكن مخلصة ولا غاوية تابعة لإبليس . وقد قيل : إن الغاوين المتبعين لإبليس هم المشركون . ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ [النحل : ١٠٠] .

ثم قال الله سبحانه متوعدًا لأتباع إبليس : ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين** ﴾ أى موعد المتبعين الغاوين . و﴿ **أجمعين** ﴾ تأكيد للضمير ، أو حال . ﴿ **لها سبعة أبواب** ﴾ يدخل أهل النار منها ، وإنما كانت سبعة لكثرة أهلها ﴿ **لكل باب منهم** ﴾ أى من الأتباع الغواة ﴿ **جزء مقسوم** ﴾ أى قدر معلوم متميز عن غيره . وقيل : المراد بالأبواب : الأطباق طبق فوق طبق ، وهى جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ، والرابعة للصابئين ، والخامسة للمجوس ، والسادسة للمشركين ، والسابعة للمنافقين ، فجهنم أعلى الطباق ، ثم ما بعدها تحتها ، ثم كذلك . كذا قيل .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس قال : خلق الإنسان

من ثلاث : من طين لازب ، وصلصال ، وحمأ مسنون ، فالطين اللازب : اللازم الجيد ، والصلصال : المدقق الذى يصنع منه الفخار ، والحمأ المسنون : الطين الذى فيه الحمأة . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه قال : الصلصال : الماء يقع على الأرض الطيبة ، ثم يحسر عنها ، فتشقق ، ثم تصير مثل الخزف الرقاق . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا قال : الصلصال : هو التراب اليابس الذى يبل بعد يبسه . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا ، قال : الصلصال : طين خلط برمل . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا ، قال: الصلصال : الذى إذا ضربته صلصل . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا ، قال: الصلصال : الطين تعصر بيدك ، فيخرج الماء من بين أصابعك . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **من حمأ مسنون** ﴾ قال : من طين رطب . وأخرج هؤلاء عنه أيضًا ﴿ **من حمأ مسنون** ﴾ قال : من طين منتن . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا ، قال : الجان : مسيخ الجن ، كالقردة والخنازير : مسيخ الإنس .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة قال : الجان : هو إبليس ، خلق من قبل آدم . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ قال : من أحسن النار . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه قال: نار السموم : الحارة التى تقتل . وأخرج الطيالسى والفريابى وابن أبى حاتم والطبرانى، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال : السموم التى خلق منها الجان ، جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، ثم قرأ : ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ .

وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعًا . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون** ﴾ قال :أراد إبليس لا يذوق الموت، فقيل :﴿ **إنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾ قال : النفخة الأولى يموت فيها إبليس ، وبين النفخة والنفخة أربعون سنة. وأخرج أبو عبيد وابن جرير وابن المنذر عن ابن سيرين ﴿ **هذا صراط على مستقيم**﴾ أى رفيع . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة نحوه.

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **لها سبعة أبواب** ﴾ بعدد أطباق جهنم كما قدّمْنا . وأخرج ابن المبارك وابن أبى شيبة وأحمد فى الزهد ، وهناد وعبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى صفة النار ، وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث من طرق عن على قال: أطباق جهنم سبعة ، بعضها فوق بعض ، فيملأ الأول ، ثم الثانى ، ثم الثالث حتى تملأ كلها . وأخرج البخارى فى تاريخه ، والترمذى وابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لجهنم سبعة أبواب ، باب منها لمن سل السيف على أمتى » [1] . وقد ورد فى صفة النار

(١) الترمذى فى التفسير (٣١٢٣) وقال : « حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول » .

أحاديث وآثار. وأخرج ابن مردويه والخطيب فى تاريخه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ قال :« جزء أشركوا بالله ، وجزء شكوا فى الله ، وجزء غفلوا عن الله» (١) .

﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦)** ﴾ .

قوله : ﴿ **إن المتقين فى جنات وعيون**﴾ أى المتقين للشرك بالله كما قال جمهور الصحابة والتابعين . وقيل : هم الذين اتقوا جميع المعاصى ﴿ **فى جنات** ﴾ وهى البساتين ﴿**وعيون**﴾ وهى الأنهار. قرئ بضم العين من: ﴿ **عيون** ﴾ على الأصل ، وبالكسر مراعاة للياء . والتركيب يحتمل أن يكون لجميع المتقين جنات وعيون ، أو لكل واحد منهم جنات وعيون ، أو لكل واحد منهم جنة وعين . ﴿ **ادخلوها** ﴾ قرأ الجمهور بلفظ الأمر على تقدير القول ، أى قيل لهم: ادخلوها . وقرأ الحسن وأبو العالية ، وروى عن يعقوب بضم الهمزة مقطوعة ، وفتح الخاء على أنه فعل مبنى للمفعول ، أى أدخلهم الله إياها . وقد قيل : إنهم إذا كانوا فى جنات وعيون ، فكيف يقال لهم بعد ذلك : ادخلوها على قراءة الجمهور، فإن الأمر لهم بالدخول يشعر بأنهم لم يكونوا فيها ؟ وأجيب بأن المعنى : أنهم لما صاروا فى الجنات ، فإذا انتقلوا من بعضها إلى بعض ، يقال لهم عند الوصول إلى التى أرادوا الانتقال إليها : ادخلوها .

---

(١) تاريخ بغداد ٩ / ٢٩ وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات ٣ / ٢٦٥ وقال : « هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ . وفيه سلام ليس بشىء. قال يحيى : لا يكتب حديثه ليس بشىء . وقال النسائى والدارقطنى : متروك . وقال ابن حبان : يروى عن الثقات الموضوعات » .

ومعنى ﴿ **بسلام آمنين** ﴾ : بسلامة من الآفات ، وأمن من المخافات ، أو مسلمين على بعضهم بعضًا ، أو مسلمًا عليهم من الملائكة أو من الله ــ عز وجل .

﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** ﴾ الغل : الحقد والعداوة . وقد مر تفسيره فى الأعراف . وانتصاب ﴿ **إخوانا** ﴾ على الحال ، أى إخوة فى الدين والتعاطف ﴿ **على سرر متقابلين** ﴾ أى حال كونهم على سرر ، وعلى صورة مخصوصة وهى التقابل ، ينظر بعضهم إلى وجه بعض. والسرر: جمع سرير . وقيل : هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور . ومنه قولهم: سرّ الوادى لأفضل موضع منه . ﴿ **لا يمسهم فيها نصب** ﴾ أى تعب وإعياء لعدم وجود ما يتسبب عنه ذلك فى الجنة ؛ لأنها نعيم خالص ، ولذة محضة تحصل لهم بسهولة ، وتوافيهم مطالبهم بلا كسب ولا جهد ، بل بمجرد خطور شهوة الشىء بقلوبهم يحصل ذلك الشىء عندهم صفوًا عفوًا ﴿**وما هم منها بمخرجين**﴾ أبدًا، وفى هذا الخلود الدائم وعلمهم به تمام اللذة وكمال النعيم. فإنَّ علم من هو فى نعمة ولذة بانقطاعها وعدمها بعد حين موجب لتنغص نعيمه وتكدر لذته .

ثم قال سبحانه بعد أن قص علينا ما للمتقين عنده من الجزاء العظيم ، والأجر الجزيل : ﴿**نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم** ﴾ أى أخبرهم يا محمد أنى أنا الكثير المغفرة لذنوبهم ، الكثير الرحمة لهم كما حكمت به على نفسى : « إن رحمتى سبقت غضبى » [(١)] . اللهم اجعلنا من عبادك الذين تفضلت عليهم بالمغفرة ، وأدخلتهم تحت واسع الرحمة . ثم إنه سبحانه لما أمر رسوله بأن يخبر عباده بهذه البشارة العظيمة ، أمره بأن يذكر لهم شيئًا مما يتضمن التخويف والتحذير حتى يجتمع الرجاء والخوف ، ويتقابل التبشير والتحذير ، ليكونوا راجين خائفين ، فقال : ﴿ **وأن عذابى هو العذاب الأليم** ﴾ أى الكثير الإيلام . وعند أن جمع الله لعباده بين هذين الأمرين من التبشير والتحذير ، صاروا فى حالة وسط [(٢)] بين اليأس والرجاء ، وخير الأمور أوساطها ، وهى القيام على قدمى الرجاء والخوف ، وبين حالتى الأنس والهيبة .

وجملة : ﴿ **ونبئهم عن ضيف إبراهيم** ﴾ معطوفة على جملة : ﴿ **نبئ عبادى** ﴾ أى أخبرهم بما جرى على إبراهيم من الأمر الذى اجتمع فيه له الرجاء والخوف والتبشير الذى خالطه نوع من الوجل ليعتبروا بذلك ويعلموا أنها سنة الله سبحانه فى عباده . وأيضًا : لما اشتملت القصة على إنجاء المؤمنين وإهلاك الظالمين ، كان فى ذلك تقرير[(٣)] لكونه الغفور الرحيم، وأن عذابه هو العذاب الأليم . وقد مر تفسير هذه القصة فى سورة هود . وانتصاب ﴿**إذ دخلوا عليه**﴾ بفعل مضمر معطوف على ﴿ **نبئ عبادى** ﴾ أى واذكر لهم دخولهم عليه ، أو فى محل نصب

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه ابن ماجه فى المقدمة (١٨٩) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) فى المخطوطة : « وسطًا » بالنصب ، والصحيح ما أثبتناه .

(٣) فى المخطوطة : « تقريراً » بالنصب والصحيح ما أثبتناه من الرفع ؛ لأنه اسم كان .

على الحال . والضيف فى الأصل مصدر، ولذلك وحد وإن كانوا جماعة. وسمى ضيفًا ؛ لإضافته إلى المضيف ﴿ **فقالوا سلاما** ﴾ أى سلمنا سلاما ﴿ **قال إنا منكم وجلون**﴾ أى فزعون خائفون . وإنما قال هذا بعد أن قرب إليهم العجل فرآهم لا يأكلون منه كما تقدم فى سورة هود ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴾ [هود : ٧٠] وقيل : أنكر السلام منهم ؛ لأنه لم يكن فى بلادهم . وقيل : أنكر دخولهم عليه بغير استئذان .

﴿ **قالوا لا توجل** ﴾ أى قالت الملائكة : لا تخف . وقرئ : « لا تأجل » و«لا توجل »من أوجله ، أى أخافه . وجملة: ﴿ **إنا نبشرك بغلام عليم** ﴾ مستأنفة لتعليل النهى عن الوجل . والعليم : كثير العلم . وقيل : هو الحليم كما وقع فى موضع آخر من القرآن . وهذا الغلام هو إسحاق كما تقدم فى هود. ولم يسمه هنا ولا ذكر التبشير بيعقوب اكتفاء بما سلف . ﴿ **قال أبشرتمونى** ﴾ قرأ الجمهور بألف الاستفهام . وقرأ الأعمش :« بشرتمونى » بغير الألف ﴿ **على أن مسنى الكبر** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى مع حالة الكبر والهرم ﴿ **فبم تبشرون** ﴾ استفهام تعجب ، كأنه عجب من حصول الولد له مع ما قد صار إليه من الهرم الذى جرت العادة بأنه لا يولد لمن بلغ إليه . والمعنى : فبأى شىء تبشرون ؟ فإن البشارة بما لا يكون عادة لا تصح . وقرأ نافع : « تبشرونِ » بكسر النون والتخفيف وإبقاء الكسرة لتدل على الياء المحذوفة. وقرأ ابن كثير وابن محيصن بكسر النون مشددة على إدغام النون فى النون ، وأصله: تبشرونى . وقرأ الباقون: « تبشرون » بفتح النون .

﴿ **قالوا بشرناك بالحق** ﴾ أى باليقين الذى لا خلف فيه، فإن ذلك وعد الله وهو لايخلف الميعاد، ولا يستحيل عليه شىء ، فإنه القادر على كل شىء ﴿ **فلا تكن من القانطين** ﴾ هكذا قرأ الجمهور بإثبات الألف . وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب : « من القنطين » بغير ألف . وروى ذلك عن أبى عمرو ، أى من الآيسين من ذلك الذى بشرناك به ﴿ **قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ قرئ بفتح النون من: « يقنط » وبكسرها وهما لغتان . وحكى فيه ضم النون . و﴿**الضالون**﴾ المكذبون ، أو المخطئون الذاهبون عن طريق الصواب ، أى إنما استبعدت الولد لكبر سنى ، لا لقنوطى من رحمة ربى .

ثم سألهم عما لأجله أرسلهم الله سبحانه فقال: ﴿ **فما خطبكم أيها المرسلون** ﴾ الخطب : الأمر الخطير ، والشأن العظيم ، أى فما أمركم وشأنكم ، وما الذى جئتم به غير ما قد بشرتمونى به ؛ وكأنه قد فهم أن مجيئهم ليس لمجرد البشارة ، بل لهم شأن آخر لأجله أرسلوا ﴿ **قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين** ﴾ أى إلى قوم لهم إجرام فيدخل تحت ذلك الشرك ، وما هو دونه . وهؤلاء القوم هم : قوم لوط .

ثم استثنى منهم من ليسوا مجرمين فقال : ﴿ **إلا آل لوط** ﴾ وهو استثناء متصل ؛ لأنه

من الضمير فى: ﴿مجرمين﴾ . ولو كان من قوم لكان منقطعًا لكونهم قد وصفوا بكونهم مجرمين . وليس آل لوط مجرمين . ثم ذكر ما سيختص به آل لوط من الكرامة لعدم دخولهم مع القوم فى إجرامهم ، فقال: ﴿ **إنا لمنجوهم أجمعين** ﴾ أى آل لوط ، وهم أتباعه وأهل دينه . وهذه الجملة مستأنفة على تقدير كون الاستثناء متصلاً ، كأنه قيل : ماذا يكون حال آل لوط ؟ فقال : ﴿ **إنا لمنجوهم أجمعين** ﴾ ؛ وإنما على تقدير كون الاستثناء منقطعًا فهى خبر ، أى لكن آل لوط ناجون من عذابنا . وقرأ حمزة والكسائى :« لمنجوهم » بالتخفيف من : أنجى[1] ، وقرأ الباقون بالتشديد من : نجى. واختار هذه القراءة الأخيرة أبو عبيدة وأبو حاتم. والتنجية والإنجاء: التخليص مما وقع فيه غيرهم .﴿ **إلا امرأته** ﴾ هذا الاستثناء من الضمير فى منجوهم إخراجًا لها من التنجية ، والمعنى : قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنهلكهم إلا آل لوط إنا لمنجوهم إلا امرأته فإنها من الهالكين . ومعنى ﴿ **قدرنا إنها لمن الغابرين** ﴾ : قضينا وحكمنا أنها من الباقين فى العذاب مع الكفرة . والغابر : الباقى . قال الشاعر :

لا تكْسَع [2] الشَّوْلَ بأغبارها إنك لا تدرى من النّاتج

والإغبار : بقايا اللبن . قال الزجاج : معنى قدرنا : دبرنا ، وهو قريب من معنى قضينا. وأصل التقدير : جعل الشىء على مقدار الكفاية . وقرأ عاصم من رواية أبى بكر والمفضل : «قدرنا » بالتخفيف ، وقرأ الباقون بالتشديد . قال الهروى : هما بمعنى ، وإنما أسند التقدير إلى الملائكة مع كونه من فعل الله سبحانه ؛ لما لهم من القرب عند الله .

﴿ **فلما جاء آل لوط المرسلون** ﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان إهلاك من يستحق الهلاك ، وتنجية من يستحق النجاة ﴿ **قال إنكم قوم منكرون** ﴾ أى قال لوط مخاطبًا لهم : إنكم قوم منكرون ، أى لا أعرفكم ، بل أنكركم . ﴿ **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** ﴾ أى بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه فالإضراب هو عن مجيئهم بما ينكره ، كأنهم قالوا : ما جئناك بما خطر ببالك من المكروه ، بل جئناك بما فيه سرورك ، وهو عذابهم الذى كنت تحذرهم منه وهم يكذبونك .

﴿ **وأتيناك بالحق** ﴾ أى باليقين الذى لا مرية فيه ولا تردد ، وهو العذاب النازل بهم لا محالة ﴿ **وإنا لصادقون** ﴾ فى ذلك الخبر الذى أخبرناك . وقد تقدم تفسير قوله : ﴿ **فأسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾ فى سورة هود . ﴿ **واتبع أدبارهم** ﴾ أى كن وراءهم تذودهم لئلا يختلف منهم أحد فيناله العذاب ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد** ﴾ أى لا تلتفت أنت ولا يلتفت أحد منهم ، فيرى ما نزل بهم من العذاب ، فيشتغل بالنظر فى ذلك ، ويتباطأ عن سرعة السير والبعد عن ديار الظالمين . وقيل : معنى لا يلتفت : لا يتخلف . ﴿ **وامضوا حيث تؤمرون** ﴾ أى إلى الجهة

(١) فى المخطوطة : « أنجا » بالألف ، على عادة المصنف فى كتابة المنطوق .

(٢) فى المطبوعة : « لا نكسح » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

التى أمركم الله سبحانه وتعالى بالمضى إليها ، وهى جهة الشام . وقيل : مصر. وقيل : قرية من قرى لوط . وقيل : أرض الخليل .

﴿ **وقضينا إليه** ﴾ أى أوحينا إلى لوط ﴿ **ذلك الأمر** ﴾ وهو إهلاك قومه، ثم فسره بقوله: ﴿ **أن دابر هؤلاء مقطوع** ﴾ . قال الزجاج : موضع :« أن » نصب ، وهو بدل من ﴿ **ذلك الأمر**﴾. والدابر : هو الآخر ، أى أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح . وانتصاب ﴿**مصبحين** ﴾ على الحال ، أى حال كونهم داخلين فى وقت الصبح . ومثله: ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ [الأنعام : ٤٥] .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك فى قوله :﴿ **آمنين** ﴾ قال: أمنوا الموت، فلا يموتون، ولا يكبرون ، ولا يسقمون ، ولا يعرون ، ولا يجوعون . وأخرج ابن جرير عن على : ﴿**ونزعنا ما فى صدورهم من غل** ﴾ قال: العداوة. وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن الحسن البصرى ، قال : قال على بن أبى طالب: فينا والله أهل بدر[١] نزلت : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين** ﴾ [٢]. وأخرج ابن عساكر وابن مردويه عنه فى الآية ، قال : نزلت فى ثلاث أحياء من العرب، فى بنى هاشم، وبنى تميم[٣] ، وبنى عدى ، فىّ وفى أبى بكر وعمر . وأخرج ابن أبى حاتم وابن عساكر عن كثير النواء قال : قلت لأبى جعفر : إن فلانًا حدثنى عن على بن الحسين أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى: ﴿**ونزعنا ما فى صدورهم من غل**﴾ قال: والله إنها لفيهم أنزلت، وفيمن تنزل إلا فيهم ؟ قلت : وأى غل هو؟ قال :غل الجاهلية ، إن بنى تميم وبنى عدى وبنى هاشم كان بينهم فى الجاهلية ، فلما أسلم هؤلاء القوم ، تحابوا فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علىّ يسخن يده ، فيكمد بها خاصرة أبى بكر ، فنزلت هذه الآية .

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه عن على من طرق أنه قال لابن طلحة : إنى لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم** ﴾ الآية ، فقال رجل من همدان : الله أعدل من ذلك، فصاح علىّ عليه صيحة تداعى لها القصر، وقال: فيمن إذن إن لم نكن نحن أولئك [٤] ؟ وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة والطبرانى وابن مردويه عن على قال : إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان والزبير وطلحة فيمن قال الله فيهم : ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل** ﴾ . وأخرج ابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى هذه الآية ، قال : نزلت

---

(١) فى المخطوطة : « الجنة » ، والصحيح ما أثبتناه من مراجع التخريج .

(٢) ابن جرير ١٤ / ٢٥ .

(٣) فى المحطوطة : « تميم » والصواب « بنى تميم »، كما يدل عليه السياق ؛ لأن أبا بكر كان من تميم .

(٤) ابن أبى شيبة فى الجمل (١٩٦٤١) وابن جرير ١٤ / ٢٥ وصححه الحاكم ٢ / ٣٥٤ ووافقه الذهبى .

فى عشرة : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود . وأخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى صالح موقوفًا عليه . وأخرج ابن أبى شيبة وهناد وابن جرير وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله : ﴿**على سرر متقابلين**﴾ قال: لا يرى بعضهم قفا بعض . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه عن مجاهد عن ابن عباس . وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وأبو قاسم البغوى وابن مردويه وابن عساكر عن زيد بن أبى أوفى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية : ﴿ **إخوانا على سرر متقابلين** ﴾ قال : « المتحابون فى الله فى الجنة ينظر بعضهم إلى بعض » (١) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله : ﴿ **لا يمسهم فيها نصب** ﴾ قال : المشقة والأذى. وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق عطاء بن أبى رباح عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذى يدخل منه بنو شيبة فقال : « ألا أراكم تضحكون » ثم أدبر ، حتى إذا كان عند الحجر ، رجع القهقرى ، فقال : « إنى لما خرجت ، جاء جبريل فقال : يا محمد ، إن الله ـ عز وجل ـ يقول : لِمَ تقنط عبادى ؟ ﴿**نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم**﴾ (٢) . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن مصعب بن ثابت قال : مر النبى ﷺ على ناس من أصحابه يضحكون فقال: «اذكروا الجنة ، واذكروا النار » ، فنزلت : ﴿ **نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم** ﴾ (٣) . وأخرج الطبرانى والبزار وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، قال: مر النبى ﷺ . . . فذكر نحوه(٤) . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة ، وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من رحمته ، لم ييأس من الرحمة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب ، لم يأمن من النار » (٥) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة : ﴿ **قالوا لا توجل** ﴾ : لا تخف . وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى ﴿ **من القانطين** ﴾ قال : الآيسين . وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة ﴿ **إنها لمن**

---

(١) الطبرانى (٥١٤٦) من حديث طويل ، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢ / ٥٣٧ : « إلا أن فى إسناده ضعفًا » وقال الحافظ فى الإصابة ٢ / ٥٩٢ : « وقال ابن السكن : روى حديثه من ثلاث طرق ليس فيها ما يصح » وقال البخارى فى التاريخ الصغير ١ / ٢١٧ : « وهذا إسناد مجهول لا يتابع عليه ولا يعرف سماع بعضهم من بعض . رواه بعضهم عن إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن أبى أوفى عن النبى ﷺ ، ولا أصل له ».

(٢) ابن جرير ١٤ / ٢٧ ، وفى إسناده من لم يسمَّ .

(٣) أورده ابن كثير فى تفسيره ٤/١٦٦ وقال : « رواه ابن أبى حاتم ، وهو مرسل » .

(٤) أورده الهيثمى فى المجمع ٧ / ٤٩ وقال : « رواه الطبرانى وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف » .

(٥) البخارى فى الرقاق (٦٤٦٩) ومسلم فى التوبة (٢٧٥٥ / ٢٣) والبيهقى ٢ / ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

الغابرين﴾ يعنى : الباقين فى عذاب الله . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله : ﴿ **إنكم قوم منكرون** ﴾ قال : أنكرهم لوط . وفى قوله : ﴿ **بما كانوا فيه يمترون** ﴾ قال :بعذاب قوم لوط . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ﴿ **بما كانوا فيه يمترون** ﴾ قال : يشكون .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله : ﴿ **واتبع أدبارهم** ﴾ قال : أمر أن يكون خلف أهله يتبع أدبارهم فى آخرهم إذا مشوا . وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى ﴿ **وامضوا حيث تؤمرون** ﴾ قال : أخرجهم الله إلى الشام .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد ﴿ **وقضينا إليه ذلك الأمر** ﴾ قال : أوحيناه إليه. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ﴿**أن دابر هؤلاء مقطوع**﴾ يعنى: استئصالهم وهلاكهم[(١)].

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) ﴾ .

ذكر سبحانه ما كان من قوم لوط عند وصول الملائكة إلى قريتهم فقال :﴿ **وجاء أهل المدينة يستبشرون** ﴾ أى أهل مدينة قوم لوط ، وهى سدوم [(٢)] كما سبق . وجملة : ﴿**يستبشرون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى مستبشرون بأضياف لوط طمعًا فى ارتكاب الفاحشة منهم . فقال لهم لوط:﴿ **إن هؤلاء ضيفى** ﴾ وحد الضيف ؛ لأنه مصدر كما تقدم ، والمراد: أضيافى . وسماهم ضيفًا ؛ لأنه رآهم على هيئة الأضياف ، وقومه رأوهم مردًا حسان الوجه ، فلذلك طمعوا فيهم ﴿ **فلا تفضحون** ﴾ يقال : فضحه يفضحه فضيحة وفضحًا : إذا أظهر من أمره ما يلزمه العار بإظهاره. والمعنى: لا تفضحون عندهم بتعرضكم لهم بالفاحشة ، فيعلمون أنى عاجز عن حماية من نزل بى ، أو لا تفضحون بفضيحة ضيفى ، فإن من فعل ما يفضح الضيف ، فقد فعل ما يفضح المضيف . ﴿ **واتقوا الله** ﴾ فى أمرهم ﴿ **ولا تخزون** ﴾ يجوز أن تكون من الخزى وهو الذل والهوان ، ويجوز أن يكون من الخزاية وهى الحياء والخجل. وقد تقدم تفسير ذلك فى هود .

---

(١) فى المخطوطة : « استصال هلاكهم » والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى .

(٢) فى المطبوعة : « سلوم » والصواب ما أثبتناه من المخطوطة ، وهى قرية من قرى قوم لوط .

﴿ **قالوا** ﴾ أى قوم لوط ، محيبين له : ﴿ **أو لم ننهك عن العالمين** ﴾ الاستفهام للإنكار ، والواو للعطف على مقدر ، أى ألم نتقدم إليك وننهك عن أن تكلمنا فى شأن أحد من النامس إذا قصدناه بالفاحشة ؟ وقيل : نهوه عن ضيافة الناس . ويجوز حمل ما فى الآية على ما هو أعم من هذين الأمرين . ﴿ **قال هؤلاء بناتى** ﴾ فتزوجوهن ﴿ **إن كنتم فاعلين** ﴾ ما عزمتم عليه من فعل الفاحشة بضيفى ، فهؤلاء بناتى تزوجوهن حلالاً ولا ترتكبوا الحرام . وقيل : أراد ببناته : نساء قومه ؛ لكون النبى بمنزلة الأب لقومه . وقد تقدم تفسير هذا فى هود : ﴿ **لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون** ﴾ العَمر والعُمر بالفتح والضم واحد ، لكنهم خصوا القسم بالمفتوح؛ لإيثار الأخف فإنه كثير الدور على ألسنتهم . ذكر ذلك الزجاج .

قال القاضى عياض : اتفق أهل التفسير فى هذا أنه قسم من الله ، جل جلاله ، بمدة حياة محمد ﷺ ، وكذا حكى إجماع المفسرين على هذا المعنى أبو بكر بن العربى ، فقال : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له . قال أبو الجوزاء : ما أقسم الله سبحانه بحياة أحد غير محمد ﷺ ؛ لأنه أكرم البرية عنده . قال ابن العربى : ما الذى يمتنع أن يقسم الله سبحانه بحياة لوط ، ويبلغ به من التشريف ما شاء ، وكل ما يعطيه الله تعالى للوط من فضل يؤتى ضعفه من شرف لمحمد ﷺ لأنه أكرم على الله منه ، أو لا تراه سبحانه أعطى إبراهيم الخلة، وموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ﷺ . فإذا أقسم الله سبحانه بحياة لوط ، فحياة محمد أرفع . قال القرطبى [١] : ما قاله حسن ، فإنه يكون قسمه سبحانه بحياة محمد ﷺ كلامًا معترضًا فى قصة لوط . فإن قيل : قد أقسم الله سبحانه بالتين والزيتون وطور سينين ، ونحو ذلك فما فيهما من فضل ؟ وأجيب بأنه ما من شىء أقسم الله به إلا وفى ذلك دلالة على فضله على جنسه . وذكر صاحب الكشاف [٢] وأتباعه : أن هذا القسم هو من الملائكة على إرادة القول ، أى قالت الملائكة للوط : لعمرك ، ثم قال: وقيل : الخطاب لرسول الله ﷺ ، وأنه أقسم بحياته ، وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له . انتهى .

وقد كره كثير من العلماء القسم بغير الله سبحانه وجاءت بذلك الأحاديث الصحيحة فى النهى عن القسم بغير الله، فليس لعباده أن يقسموا بغيره. وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . وقيل : الإقسام منه سبحانه بالتين والزيتون ، وطور سينين ، والنجم ، والضحى ، والشمس ، والليل ، ونحو ذلك هو على حذف مضاف هو المقسم به ، أى وخالق التين ، وكذلك ما بعده. وفى قوله: ﴿ **لعمرك** ﴾ أى وخالق عمرك.

ومعنى ﴿ **إنهم لفى سكرتهم يعمهون** ﴾ : لفى غوايتهم يتحيرون ، جعل الغواية ؛ لكونها تذهب بعقل صاحبها كما تذهب به الخمر سكرة . والضمير لقريش . على أن القسم بمحمد

---

(١) القرطبى ٥ / ٣٦٥٦ .

(٢) الكشاف ٢ / ٥٨٥ .

ﷺ ، أو لقوم لوط على أن القسم للرسول عليه السلام . ﴿ **فأخذتهم الصيحة** ﴾ العظيمة ، أو صيحة جبريل حال كونهم ﴿ **مشرقين** ﴾ أى داخلين فى وقت الشروق . يقال : أشرقت الشمس، أى أضاءت . وشرقت : إذا طلعت . وقيل : هما لغتان بمعنى واحد . وأشرق القوم: إذا دخلوا فى وقت شروق الشمس . وقيل : أراد شروق الفجر . وقيل : أول العذاب كان عند شروق الفجر ، وامتد إلى طلوع الشمس . والصيحة : العذاب ﴿ **فجعلنا عاليها سافلها** ﴾ أى عالى المدينة سافلها ﴿ **وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ من طين متحجر . وقد تقدم الكلام مستوفى على هذا فى سورة هود .

﴿ **إن فى ذلك** ﴾ أى فى المذكور من قصتهم ، وبيان ما أصابهم ﴿ **لآيات** ﴾ : لعلامات يستدل بها ﴿**للمتوسمين** ﴾ : للمتفكرين الناظرين فى الأمر ، ومنه قول زهير :

وفيهن ملهى للصديق ومنظر ... أنيق لعين الناظر المتوسم

وقال آخر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا إلىَّ عريفهم يتوسم

وقال أبو عبيدة : للمتبصرين. وقال ثعلب: الواسم: الناظر إليك من قرنك إلى قدمك . والمعنى متقارب . وأصل التوسم : التثبت والتفكر، مأخوذ من الوسم ، وهو التأثير بحديدة فى جلد البعير . ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ يعنى : قرى قوم لوط، أو مدينتهم على طريق ثابت ، وهى الطريق من المدينة إلى الشام ، فإن السالك فى هذه الطريق يمر بتلك القرى . ﴿ **إن فى ذلك**﴾ المذكور من المدينة أو القرى ﴿ **لآية للمؤمنين** ﴾ يعتبرون بها ، فإن المؤمنين من العباد هم الذين يعتبرون بما يشاهدونه من الآثار .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة فى قوله :﴿ **وجاء أهل المدينة يستبشرون** ﴾ قال : استبشروا بأضياف نبى الله لوط حين نزلوا به لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **أو لم ننهك عن العالمين** ﴾ قال : يقولون : أو لم ننهك أن تضيف أحدًا ، أو تؤويه ؟ ﴿ **قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين** ﴾ أمرهم لوط بتزويج النساء ، وأراد أن يقى [١] أضيافه ببناته .

وأخرج ابن أبى شيبة وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس، قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال : ﴿ **لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون** ﴾ يقول : وحياتك يا محمد ، وعمرك ، وبقائك فى الدنيا . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه فى قوله: ﴿ **لعمرك** ﴾ قال : لعيشك . وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال : ما حلف الله بحياة

(١) فى المطبوعة : « يبقى » والصواب ما أثبتناه من المخطوطة .

obeikandl.com

أحد إلا بحياة محمد ، قال: ﴿ **لعمرك** ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي ، قال : كانوا يكرهون أن يقول الرجل : لعمري ، يرونه كقوله : وحياتي . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة : ﴿ **إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ أي في ضلالهم يلعبون . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الأعمش في الآية : لفي غفلتهم يترددون .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج ﴿ **فأخذتهم الصيحة** ﴾ : مثل الصاعقة ، وكل شيء أهلك به قوم، فهو صاعقة وصيحة . وأخرج ابن جرير عنه ﴿ **مشرقين** ﴾ قال : حين أشرقت الشمس. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس في قوله :﴿ **إن في ذلك لآية**﴾ قال : علامة ، أما ترى الرجل يرسل خاتمه إلى أهله ، فيقول : هاتوا كذا وكذا . فإذا رأوه ، عرفوا أنه حق . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه ﴿**للمتوسمين** ﴾ قال: للناظرين . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة ، قال : للمعتبرين . وأخرج ابن جريج وابن المنذر عن مجاهد قال : للمتفرسين . وأخرج البخاري في التاريخ ، والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله » ثم قرأ : ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ [١] . وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ يقول : لبهلاك . وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال :لبطريق مقيم . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال : لبطريق واضح .

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨٦) ﴾ .

قوله : ﴿ **وإن كان أصحاب الأيكة** ﴾ « إن » هي المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف ، أي وإن الشأن كان أصحاب الأيكة . والأيكة : الغيضة ، وهي جماع الشجر. والجمع : الأيك. ويروى أن شجرهم كان دومًا . وهو المقل ، فالمعنى : وإن كان أصحاب الشجر المجتمع . وقيل : الأيكة : اسم القرية التي كانوا فيها. قال أبو عبيدة : الأيكة ، وليكة:

---

(١) البخاري في التاريخ ٧ / ٣٥٤ (١٥٢٩) والترمذي في التفسير (٣١٢٧) وقال : « هـذا حديث غريب » وابن جرير ١٤ / ٣٢ ، وأخرجه أبو نعيم عن ابن عمر ٤ / ٩٤ وقال : « غريب » .

obeikandi.com

مدينتهم كمكة وبكة . وأصحاب الأيكة : هم قوم شعيب . وقد تقدم خبرهم . واقتصر الله سبحانه هنا على وصفهم بالظلم ، وقد فصل ذلك الظلم فيما سبق ، والضمير فى : ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ يرجع إلى مدينة قوم لوط ، ومكان أصحاب الأيكة ، أى وإن المكانين لبطريق واضح . والإمام : اسم لما يؤتم به ، ومن جملة ذلك الطريق التى تسلك . قال الفراء والزجاج: سمى الطريق إمامًا ؛ لأنه يؤتم ويتبع. وقال ابن قتيبة : لأن المسافر يأتم به حتى يصل إلى الموضع الذى يريده . وقيل : الضمير للأيكة ومدين ؛ لأن شعيبًا كان ينسب إليهما .

ثم إن الله سبحانه ختم القصص بقصة ثمود فقال: ﴿ **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين**﴾ الحجر : اسم لديار ثمود . قاله الأزهرى ، وهى ما بين مكة وتبوك . وقال ابن جرير : هى أرض بين الحجاز والشام . وقال : ﴿ **المرسلين** ﴾ ، ولم يرسل إليهم إلا صالح ؛ لأن من كذب واحدًا من الرسل ، فقد كذب الباقين لكونهم متفقين فى الدعوة إلى الله . وقيل : كذبوا صالحًا ومن تقدمه من الأنبياء . وقيل : كذبوا صالحًا ، ومن معه من المؤمنين . ﴿ **وآتيناهم آياتنا** ﴾ أى الآيات المنزلة على نبيهم ، ومن جملتها : الناقة . فإن فيها آيات جمة ، كخروجها من الصخرة ، ودنو نتاجها عند خروجها وعظمها وكثرة لبنها ﴿ **فكانوا عنها معرضين** ﴾ أى غير معتبرين ؛ ولهذا عقروا الناقة ، وخالفوا ما أمرهم به نبيهم .

﴿ **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا** ﴾ النحت فى كلام العرب : البرى والنجر ، نحته ينحته بالكسر نحتًا ، أى براه. وفى التنزيل : ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ [الصافات : ٩٥] أى تنجرون . وكانوا يتخذون لأنفسهم من الجبال بيوتًا ، أى يخرقونها فى الجبال . وانتصاب ﴿**آمنين**﴾ على الحال . قال الفراء : آمنين من أن يقع عليهم. وقيل : آمنين من الموت . وقيل: من العذاب ركونًا منهم على قوتها ووثاقتها . ﴿ **فأخذتهم الصيحة مصبحين** ﴾ أى داخلين فى وقت الصبح . وقد تقدم ذكر الصيحة فى الأعراف ، وفى هود ، وتقدم أيضًا قريبًا . ﴿ **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون** ﴾ أى لم يدفع عنهم شيئًا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال والحصون فى الجبال .

﴿ **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ أى متلبسة بالحق وهو ما فيهما من الفوائد والمصالح . وقيل: المراد بالحق : مجازاة المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته ، كما فى قوله سبحانه : ﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم: ٣١] . وقيل: المراد بالحق: الزوال ؛ لأنها مخلوقة ، وكل مخلوق زائل ﴿ **وإن الساعة لآتية** ﴾ وعند إتيانها ينتقم الله ممن يستحق العذاب ، ويحسن إلى من يستحق الإحسان . وفيه وعيد للعصاة وتهديد ، ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يصفح عن قومه ، فقال : ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ أى تجاوز عنهم واعف عفوًا حسنًا . وقيل : فأعرض عنهم إعراضًا جميلاً ولا تعجل عليهم ، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم . قيل : وهذا منسوخ بآية

السيف . ﴿ **إن ربك هو الخلاق العليم** ﴾ أى الخالق للخلق جميعًا ، العليم بأحوالهم وبالصالح والطالح منهم .

وقد أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيبًا » . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس قال : أصحاب الأيكة : هم قوم شعيب ؛ والأيكة : ذات آجام وشجر كانوا فيها . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس ، قال : الأيكة : الغيضة . وأخرج ابن أبى حاتم عنه ، قال : أصحاب الأيكة : أهل مدين ، والأيكة : الملتفة من الشجر . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا قال : الأيكة : مجمع الشىء . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا قال فى قوله : ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ طريق ظاهر .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة فى أصحاب الحجر قال : أصحاب الوادى . وأخرج ابن أبى حاتم عنه قال : كان أصحاب الحجر ثمود وقوم صالح . وأخرج البخارى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحجر : « لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم » (١) . وأخرج ابن مردويه عنه قال : نزل رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك بالحجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من مياه الآبار التى كانت تشرب منها ثمود ، وعجنوا منها ، ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم بإهراق القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم على البئر التى كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا ، فقال : « إنى أخشى أن يصيبكم مثل الذى أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » . وأخرج ابن مردويه ، عن سبرة بن معبد أن النبى ﷺ قال بالحجر لأصحابه : « من عمل من هذا الماء شيئًا فليلقه » . قال : ومنهم من عجن العجين ، ومنهم من حاس الحيس .

وأخرج ابن مردويه ، وابن النجار عن علىّ فى قوله : ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ قال : الرضا بغير عتاب . وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس مثله . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال : هذه الآية قبل القتال . وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة مثله .

﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ**

(١) البخارى فى الصلاة (٤٣٣) وفى المغازى (٤٤١٩ ، ٤٤٢٠) وفى التفسير (٤٧٠٢) ومسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٨٠ / ٣٨) والنسائى فى التفسير (٢٩٤) وابن جرير ١٤ / ٣٤ .

أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ .

اختلف أهل العلم فى السبع المثانى ماذا هى ؟ فقال جمهور المفسرين : إنها الفاتحة . قال الواحدى : وأكثر المفسرين على أنها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلى وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة والربيع والكلبى . وزاد القرطبى : أبا هريرة وأبا العالية . وزاد النيسابورى : الضحاك وسعيد بن جبير . وقد روى ذلك من قول رسول الله ﷺ كما سيأتى بيانه، فتعين المصير إليه .

وقيل : هى السبع الطوال : البقرة ، وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، والسابعة الأنفال والتوبة ؛ لأنهما [1] كسورة واحدة ، إذ ليس بينهما تسمية . روى هذا القول عن ابن عباس .

وقيل : المراد بالمثانى : السبعة الأحزاب ، فإنها سبع صحائف . والمثانى : جمع مثناة من التثنية ، أو جمع مثنية . وقال الزجاج : تثنى بما يقرأ بعدها معها . فعلى القول الأول يكون وجه تسمية الفاتحة مثانى : أنها تثنى ، أى تكرر فى كل صلاة . وعلى القول بأنها السبع الطوال فوجه التسمية : أن العبر والأحكام والحدود كررت فيها . وعلى القول بأنها السبعة الأحزاب يكون وجه التسمية : هو تكرير ما فى القرآن من القصص ونحوها . وقد ذهب إلى أن المراد بالسبع المثانى : القرآن كله : الضحاك وطاوس وأبو مالك وهو رواية عن ابن عباس ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ كتابا متشابها مثانى ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وقيل : المراد بالسبع المثانى : أقسام القرآن ، وهى: الأمر ، والنهى ، والتبشير ، والإنذار، وضرب الأمثال ، وتعريف النعم ، وأنباء قرون ماضية .

قال زياد بن أبى مريم : ولا يخفى عليك أن تسمية الفاتحة مثانى لا تستلزم نفى تسمية غيرها بهذا الاسم . وقد تقرر أنها المرادة بهذه الآية ، فلا يقدح فى ذلك صدق وصف المثانى على غيرها .

﴿ **والقرآن العظيم** ﴾ معطوف على ﴿ **سبعا من المثانى** ﴾ ويكون من عطف العام على الخاص ؛ لأن الفاتحة بعض من القرآن . وكذلك إن أريد بالسبع المثانى السبع الطوال ؛ لأنها بعض من القرآن . وأما إذا أريد بها السبعة الأحزاب أو جميع القرآن أو أقسامه ، فيكون من باب عطف أحد الوصفين على الآخر ، كما قيل فى قول الشاعر :

---

(١) فى المطبوعة : « لأنها » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

إلى الملك القرم وابن الهمام

ومما يقوى كون السبع المثانى هى الفاتحة : أن هذه السورة مكية ، وأكثر السبع الطوال مدنية. وكذلك أكثر القرآن وأكثر أقسامه ، وظاهر قوله : ﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثانى** ﴾ أنه قد تقدم إيتاء السبع على نزول هذه الآية . و« من » فى المثانى للتبعيض أو البيان على اختلاف الأقوال . ذكر معنى ذلك الزجاج فقال : هى للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال ، وللبيان إذا أردت الإشباع .

ثم لما بين لرسوله ﷺ ما أنعم به عليه من هذه النعمة الدينية نفره عن اللذات العاجلة الزائلة ، فقال : ﴿ **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم** ﴾ أى لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها . والأزواج : الأصناف، قاله ابن قتيبة . وقال الجوهرى : الأزواج : القرناء . قال الواحدى : إنما يكون مادًا عينيه إلى الشىء : إذا أدام النظر نحوه . وإدامة النظر إليه تدل على استحسانه وتمنيه . وقال بعضهم : معنى الآية : لا تحسدن أحدًا على ما أوتى من الدنيا. وردّ بأن الحسد منهى عنه مطلقًا. وإنما قال فى هذه السورة: ﴿ **لا تمدن** ﴾ بغير واو ؛ لأنه لم يسبقه طلب بخلاف ما فى سورة طه ، ثم لما نهاه عن الالتفات إلى أموالهم وأمتعتهم ، نهاه عن الالتفات إليهم فقال: ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ حيث لم يؤمنوا ، وصمموا على الكفر والعناد . وقيل : المعنى : لا تحزن على ما متعوا به فى الدنيا ، فلك الآخرة . والأول أولى . ثم لما نهاه عن أن يمد عينيه إلى أموال الكفار ولا يحزن عليهم ، وكان ذلك يستلزم التهاون بهم وبما معهم ، أمره أن يتواضع للمؤمنين ، فقال : ﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾ وخفض الجناح كناية عن التواضع ولين الجانب ، ومنه قوله سبحانه : ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ [الإسراء : ٢٤] . وقول الكميت :

خفضت لهم منى جناحى مودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

وأصله : أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه ، بسط جناحه ، ثم قبضه على الفرخ ، فجعل ذلك وصفًا لتواضع الإنسان لأتباعه. ويقال : فلان خافض الجناح ، أى وقور ساكن . والجناحان من ابن آدم جانباه ، ومنه : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ [طه : ٢٢] ، ومنه قول الشاعر :

وَحَسْبُكَ فِتنة لزعيم قوم يمد على أخى سُقم جناحا

﴿ **وقل إنى أنا النذير المبين** ﴾ أى المنذر المظهر لقومه ما يصيبهم من عذاب الله ﴿ **كما أنزلنا على المقتسمين** ﴾ قيل: المفعول محذوف ، أى مفعول ﴿ **أنزلنا** ﴾ والتقدير : كما أنزلنا على المقتسمين عذابًا .فيكون المعنى : إنى أنا النذير المبين لكم من عذاب مثل عذاب المقتسمين الذى أنزلناه عليهم ،كقوله تعالى : ﴿ أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ [فصلت : ١٣] . وقيل : إن الكاف زائدة ، والتقدير : إنى أنا النذير المبين أنذرتكم ما أنزلنا على المقتسمين من

obeikandl.com

العذاب . وقيل : هو متعلق بقوله : ﴿ **ولقد آتيناك** ﴾ أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون . والأولى أن يتعلق بقوله : ﴿ **إنى أنا النذير المبين** ﴾ لأنه فى قوة الأمر بالإنذار .

وقد اختلف فى المقتسمين من هم ؟ فقال الفراء : هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم ، فاقتسموا أنقاب مكة وفجاجها يقولون لمن دخلها : لا تغتروا بهذا الخارج فينا فإنه مجنون ، وربما قالوا :ساحر ، وربما قالوا : شاعر، وربما قالوا : كاهن . فقيل لهم : مقتسمين ؛ لأنهم اقتسموا هذه الطرق . وقيل : إنهم قوم من قريش اقتسموا كتاب الله ، فجعلوا بعضه شعرًا ، وبعضه سحرًا ، وبعضه كهانة ، وبعضه أساطير الأولين . قال قتادة : وقيل : هم أهل الكتاب ، وسموا مقتسمين ؛ لأنهم كانوا يقتسمون القرآن استهزاء . فيقول بعضهم : هذه السورة لى وهذه لك . روى هذا عن ابن عباس . وقيل : إنهم قسموا كتابهم وفرقوه وبددوه وحرفوه . وقيل : المراد : قوم صالح تقاسموا على قتله فسموا مقتسمين، كما قال تعالى :﴿ تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ﴾ [النمل : ٤٩] وقيل: تقاسموا أيمانًا تحالفوا عليها، قاله الأخفش . وقيل: إنهم العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف ومنبه بن الحجاج . ذكره الماوردى .

﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ جمع عضة ، وأصلها : عضوة ، فعلة من عضى الشاة : إذا جعلها أجزاء ، فيكون المعنى على هذا : الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة ، بعضه شعر ، وبعضه سحر ، وبعضه كهانة ، ونحو ذلك . وقيل : هو مأخوذ من عضته : إذا بهته . فالمحذوف منه الهاء لا الواو . وجمعت العضة على المعنيين جمع العقلاء لما لحقها من الحذف، فجعلوا ذلك عوضًا عما لحقها من الحذف . وقيل : معنى ﴿ **عضين** ﴾ : إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض . ومما يؤيد أن معنى عضين التفريق ، قول رؤبة :

وليس دين الله بالعضين

أى بالمفرق . وقيل : العضة والعضين فى لغة قريش : السحر . وهم يقولون للساحر : عاضه ، وللساحرة : عاضهة ، ومنه قول الشاعر :

أعوذ بربى من النافثات فى عقد العاضهة والعضه

وفى الحديث : أن رسول الله ﷺ لعن العاضهة والمستعضهة [1]. وفسر بالساحرة والمستسحرة . والمعنى : أنهم أكثروا البهت على القرآن ، وسموه : سحرًا وكذبًا وأساطير الأولين. ونظير عضة فى النقصان: شفة. والأصل :شفهة . وكذلك منة .والأصل : سنهة . قال الكسائى : العضة : الكذب والبهتان . وجمعها عضون . وقال الفراء : إنه مأخوذ من

(١) ابن عدى فى الكامل ٣ / ٣٣٩ عن سلمة بن وهرام وهو ضعيف .

العضاه . وهى شجر يؤذى ويجرح كالشوك . ويجوز أن يراد بالقرآن : التوراة والإنجيل لكونهما مما يقرأ ، ويراد بالمقتسمين: هم اليهود والنصارى ، أى جعلوهما أجزاء متفرقة ، وهو أحد الأقوال المتقدمة.

﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين** ﴾ أى لنسألن هؤلاء الكفرة أجمعين يوم القيامة ﴿ **عما كانوا يعملون** ﴾ فى الدنيا من الأعمال التى يحاسبون عليها ويسألون عنها . وقيل : إن المراد : سؤالهم عن كلمة التوحيد . والعموم فى :﴿ **عما كانوا يعملون**﴾ يفيد ما هو أوسع من ذلك . وقيل :إن المسؤولين هاهنا : هم جميع المؤمنين والعصاة والكفار . ويدل عليه قوله : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] . وقوله : ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ [الصافات : ٢٤] ، وقوله: ﴿ إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] ، ويمكن أن يقال : إن قصر هذا السؤال على المذكورين فى السياق وصرف العموم إليهم لاينافى سؤال غيرهم .

﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ قال الزجاج : يقول : أظهر ما تؤمر به . أخذ من الصديع وهو الصبح . انتهى . وأصل الصدع:الفرق والشق. ويقال :صدعته فانصدع ، أى انشق . وتصدع القوم ، أى تفرقوا . ومنه :﴿ يومئذ يصدعون ﴾ [الروم : ٤٣] أى يتفرقون . قال الفراء: أراد فاصدع بالأمر، أى أظهر دينك . فما مع الفعل على هذا بمنزلة المصدر. وقال ابن الأعرابى: معنى اصدع بما تؤمر ، أى اقصد . وقيل : فاصدع بما تؤمر ، أى فرق جمعهم وكلمتهم بأن تدعوهم إلى التوحيد، فإنهم يتفرقون . والأولى أن الصدع الإظهار ، كما قاله الزجاج والفراء وغيرهم .قال النحويون : المعنى بما تؤمر به من الشرائع ، وجوزوا أن تكون مصدرية، أى بأمرك وشأنك . قال الواحدى : قال المفسرون : أى اجهر بالأمر ، أى بأمرك بعد إظهار الدعوة . وما زال النبى ﷺ مستخفيًا حتى نزلت هذه الآية ، ثم أمره سبحانه بعد أمره بالصدع بالإعراض وعدم الالتفات إلى المشركين ، فقال : ﴿ **وأعرض عن المشركين** ﴾ أى لا تبال بهم ولا تلتفت إليهم إذا لاموك على إظهار الدعوة .

ثم أكد هذا الأمر، وثبت قلب رسوله بقوله :﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ مع كونهم كانوا من أكابر الكفار ، وأهل الشوكة فيهم ، فإذا كفاه الله أمرهم بقمعهم وتدميرهم ، كفاه أمر من هو دونهم بالأولى . وهؤلاء المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة : الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة [١] ، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطُّلاطِلَة ، كذا قال القرطبى[٢] ، ووافقه غيره من المفسرين . وقد أهلكهم الله جميعًا وكفاهم أمرهم فى يوم واحد ، ثم وصف هؤلاء المستهزئين بالشرك فقال : ﴿ **الذين**

(١) فى المخطوطة : « الأسود بن المطلب بن الحارث بن زمعة » والصحيح ما أثبتناه من الطبرى والقرطبى وابن كثير.

(٢) القرطبى ٦ / ٣٦٧٨ .

يجعلون مع الله إلها آخر ﴾ فلم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء ، بل لهم ذنب آخر وهو الشرك بالله سبحانه، ثم توعدهم فقال : ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ كيف عاقبتهم فى الآخرة وما يصيبهم من عقوبة الله سبحانه .

ثم ذكر تسلية أخرى لرسول الله ﷺ بعد التسلية الأولى بكفايته شرهم ودفعه لمكرهم ، فقال : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون** ﴾ من الأقوال الكفرية المتضمنة للطعن على رسول الله ﷺ بالسحر والجنون والكهانة والكذب . وقد كان يحصل ذلك مع رسول الله ﷺ بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الإنسانى ، ثم أمره سبحانه بأن يفزع لكشف ما نابه من ضيق الصدر إلى تسبيح الله سبحانه وحمده ، فقال :﴿ **فسبح بحمد ربك** ﴾ أى متلبسًا بحمده ، أى افعل التسبيح المتلبس بالحمد ﴿ **وكن من الساجدين** ﴾ أى المصلين ، فإنك إذا فعلت ذلك ، كشف الله همك ، وأذهب غمك ، وشرح صدرك . ثم أمره بعبادة ربه ، أى بالدوام عليها إلى غاية هى قوله : ﴿ **حتى يأتيك اليقين** ﴾ أى الموت. قال الواحدى: قال جماعة المفسرين : يعنى: الموت ؛ لأنه موقن به . قال الزجاج : المعنى : اعبد ربك أبدًا ؛ لأنه لو قيل : اعبد ربك بغير توقيت ؛ لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعًا . فإذا قال : حتى يأتيك اليقين ، فقد أمره بالإقامة على العبادة أبدًا ما دام حيًا .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن عمر فى قوله:﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثانى** ﴾ قال : السبع المثانى : فاتحة الكتاب . وأخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والدارقطنى وابن مردويه والبيهقى من طرق عن على بمثله . وأخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود مثله ، وزاد : ﴿ **والقرآن العظيم** ﴾ سائر القرآن . وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس فى الآية، قال: فاتحة الكتاب استثناها الله لأمة محمد ، فرفعها فى أم الكتاب، فادخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحد قبل . قيل : فأين الآية السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . وروى عنه نحو هذا من طرق (١). وأخرج ابن الضريس وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبى هريرة قال: السبع المثانى : فاتحة الكتاب . وأخرج ابن جرير عن أبى بن كعب قال : السبع المثانى : الحمد لله رب العالمين . وروى نحو قول هؤلاء الصحابة عن جماعة من التابعين .

وقد ثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى سعيد بن المعلى أنه قال له النبى ﷺ : « ألا أعلمك أفضل سورة قبل أن أخرج من المسجد ؟ » . فذهب النبى ﷺ ليخرج ، فذكرته ، فقال: « الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم » (٢) . وأخرج البخارى أيضًا

---

(١) ابن جرير ١٤ / ٣٩ والطبرانى (١١٧٠٠) وصححه الحاكم ٢ / ٢٥٧ ووافقه الذهبى ، والبيهقى ٢ / ٤٥ وقال الهيثمى فى المجمع ٦ / ٣١٤: « رواه الطبرانى وفيه أبو سعد البقال ، وهو مدلس » .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٤٧٤ ، ٤٦٤٧ ، ٤٧٠٣) وفى فضائل القرآن (٥٠٠٦) وأبو داود فى الصلاة (١٤٥٨) والنسائى فى التفسير (٢٩٥) .

من حديث أبى هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم » [١] . فوجب بهذا المصير إلى القول بأنها فاتحة الكتاب ، ولكن تسميتها بذلك لا ينافى تسمية غيرها به كما قدمنا .

وأخرج ابن مردويه عن عمر ، قال فى الآية : هى السبع الطوال . وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله [٢] . وأخرج الفريابى وأبو داود والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال فى الآية : هى السبع الطوال [٣] . وأخرج الدارمى وابن مردويه عن أبى بن كعب مثله . وروى نحو ذلك عن جماعة من التابعين . وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : هى فاتحة الكتاب والسبع الطوال. وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : ما ثنى [٤] من القرآن ، ألم تسمع لقول الله : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثانى ﴾ [٥] [الزمر : ٢٣] . وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال : المثانى : القرآن ، يذكر الله القصة الواحدة مرارًا . وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى عن زياد بن أبى مريم فى الآية قال : أعطيتك سبعة أجزاء : مر ، وانه ، وبشر ، وأنذر ، واضرب الأمثال ، واعدد النعم ، واتل نبأ القرآن .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولا تمدن عينيك** ﴾ قال : نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله : ﴿**أزواجا منهم** ﴾ قال : الأغنياء الأمثال والأشباه . وأخرج ابن المنذر عن سفيان بن عيينة قال : من أعطى القرآن فمد عينه إلى شىء مما صغر القرآن ، فقد خالف القرآن ، ألم يسمع إلى قوله: ﴿ **ولقد آتيناك سبعا من المثانى** ﴾ ، وإلى قوله : ﴿ ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [طه : ١٣١] . وقد فسر ابن عيينة أيضًا الحديث الصحيح : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » [٦] . فقال : إن المعنى : يستغنى به . وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ **واخفض جناحك** ﴾ قال : اخضع .

وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور والبخارى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه من طرق ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **كما أنزلنا على المقتسمين** ﴾ الآية، قال :

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧٠٤) . (٢) ابن جرير ١٤ / ٣٧ .

(٣) أبو داود فى الصلاة (١٤٥٩) والنسائى فى التفسير (٢٩٦) وابن جرير ١٤ / ٣٦ والطبرانى (١١٠٣٨) وصححه الحاكم ٢ / ٣٥٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، وزاد نسبته فى الدر المنثور ٤ / ١٠٥ للبيهقى ، وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٤٩ : « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » .

(٤) فى المطبوعة : « مائتى » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

(٥) ابن جرير ١٤ / ٣٩ .

(٦) البخارى فى التوحيد (٧٥٢٦) وأبو داود فى الصلاة (١٤٧٣) عن أبى هريرة .

هم أهل الكتاب ، جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه [١] . وأخرج ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عنه قال : عضين : فرقا . وأخرج ابن إسحاق وابن أبى حاتم وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس ؛ أنها نزلت فى نفر من قريش ، كانوا يصدون الناس عن رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة [٢] . وأخرج الترمذى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أنس عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين. عما كانوا يعملون** ﴾ قال : « عن قول : لا إله إلا الله » [٣] . وأخرجه ابن أبى شيبة ، والترمذى وابن جرير وابن المنذر من وجه آخر عن أنس موقوفًا . وأخرجه ابن جرير وابن المنذر عن ابن عمر مثله .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس: ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ فامضه . وفى على بن أبى طلحة مقال معروف . وأخرج ابن جرير عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، قال : ما زال النبى ﷺ مستخفيًا حتى نزل : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ فخرج هو وأصحابه [٤]. وأخرج ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس فى الآية قال : هذا أمر من الله لنبيه بتبليغ رسالته قومه ، وجميع من أرسل إليه . وأخرج ابن المنذر عنه ﴿**فاصدع بما تؤمر** ﴾ قال : أعلن بما تؤمر . وأخرج أبو داود فى ناسخه ، وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **وأعرض عن المشركين** ﴾ قال: نسخه قوله تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ [التوبة: ٥] .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه وأبو نعيم ، والضياء فى المختارة عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ قال : المستهزئون : الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطل السهمى ، والعاص بن وائل ، وذكر قصة هلاكهم [٥] . وقد روى هذا عن جماعة من الصحابة مع زيادة فى عددهم ، ونقص على طول فى ذلك .

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر ، والحاكم فى التاريخ ، وابن مردويه والديلمى عن أبى مسلم الخولانى قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أوحى إلىَّ أن أجمع المال ، وأكن من التاجرين ، ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك**

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧٠٥) وابن جرير ١٤ / ٤٢ وصححه الحاكم ٢ / ٣٥٥ على شرط الشيخين وقال الذهبى : « أخرجه البخارى » .

(٢) ابن إسحاق ١ / ٣٠٤ والبيهقى فى الدلائل ٢ / ٣١٦ .

(٣) الترمذى فى التفسير (٣١٢٦) وقال : « هذا حديث غريب » وأبو يعلى (٤٠٥٨) وابن جرير ١٤/ ٤٦. وإسناده ضعيف لضعف ليث بن أبى سليم .

(٤) ابن جرير ١٤ / ٤٧ .

(٥) قال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٥٠ : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابورى ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » .

اليقين ﴾ »[١] . وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعًا مثله . وأخرج ابن مردويه والديلمى عن أبى الدرداء مرفوعًا نحوه . وأخرج الخطيب فى المتفق والمفترق من طريق عبيد الله بن أبان بن عثمان بن حذيفة بن أوس الطائفى ، قال : حدثنى أبان بن عثمان عن أبيه عن جده يرفعه مثل حديث أبى مسلم الخولانى . وأخرج ابن أبى شيبة عن سالم بن عبد الله بن عمر : ﴿ **حتى يأتيك اليقين** ﴾ قال : الموت . وأخرج ابن المبارك عن الحسن مثله . وأخرج ابن جرير عن ابن زيد مثله .

(١) الديلمى فى الفردوس (٦٢٩٧) . وأبو مسلم الخولانى هو : عبد الله بن ثوب اليمانى الزاهد الشامى ، رحل يطلب النبى ﷺ وتوفى النبى وهو فى الطريق فلقى أبا بكر الصديق رضى الله عنه . ذكره ابن سعد فى الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام وقال : « كان ثقة وتوفى فى زمن يزيد بن معاوية سنة ٦٢».

obeikandl.com